جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة
بأسيوط
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

عالمية الإسلام من خلال فريضة الحج

إعداد
د . على حسن العشرى هدية
مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية
فى الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فقد جاءت الرسالات السماوية السابقة محدودة الزمان والمكان والتشريع، إلى أن جاءت رسالة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، فأرادها الله أن تكون خاتمة الرسالات وجامعة الشرائع ومهيمنة عليها فاستوعبت بذلك الزمان والمكان والإنسان، بما تضمّنته من بعد عالمي لشئون البشرية وقضاياها في شتى المجالات.

قال الله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾[1]. وإظهار الدين يتضمن حفظه من التحريف والتبديل ، وظهوره وانتشاره في ربوع الدنيا كلها.

وعموم الرسالة المحمدية وهدايتها للعالمين معلم من معالم الدين سطع بظهور نور الوحي في أول آية نزلت على الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[2].

فالمدعو لهذا الدين هو الإنسان ، بغض النظر عن جنسه أو نوعه أو عرقه أو لونه أو انتمائه ، وهو في الإسلام موضع العناية ومحل الرعاية .

ورسالته صلى الله عليه وسلم منذ بزوغ فجرها رسالة عالمية انضوى في فلكها العربي والفارسي والرومي والحبشي ، وكانت آيات القرآن التي نزلت في مكة تصدع بعموم رسالته وعالمية دعوته.

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٨.

(٢) سورة العلق الآيات ١- ٥.

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[2] ، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3] ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُون﴾[4].

وفي الحديث " عن جَابِر[5] بْن عَبْدِ اللهِ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ: أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ" [6].

ولمّا كانت رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هداية لعموم الناس جاءت تشريعات الإسلام وأحكامه تراعي فطرة الإنسان التي يتساوى فيها الناس جميعا، فلا مكان لعنصرية أو طبقية ؛ بل هي الرحمة والتيسير ومكارم الأخلاق والعودة إلى الفطرة السليمة ، وإعلاء القيم الإنسانية .

ورغم سطوع ووضوح العالمية في كل ركن من أركان الإسلام إلا أن وضوح عالمية الإسلام في فريضة الحج مختلف عن سائر العبادات ؛ فهو في أصله يعود إلى أبي الأنبياء وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام ، ومكانه البقعة التي اختارها الله لتكون مركز الرسالة الإلهية ، والحج هو العبادة التي تجمع بين بذل المال ومشقة السفر ، والبذل والتضحية فهو يشمل العبادات جميعا .

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٨.

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٣) سورة الفرقان الآية ١ .

(٤) سورة سبأ الآية ٢٨.

(٥) جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري، المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من أهل بيعة الرضوان، كان مُفتي المدينة في زمانه، توفي سنة ٧٨ هـ، وقيل سنة ٧٧ هـ. انظر : الإصابة في تمييز الصحابة : الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ج١ ، ص ٥٤٦ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، ط دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ .

(٦) صحيح البخاري" الجامع المسند الصحيح المختصر": الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، كتاب الصلاة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم" جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا" ج١، ص ١١٩ح ٤٣٨، ط دار الشعب ، القاهرة.

وفي الحج تظهر عالمية الدين بدءا من حديث القرآن عن الحج الذي جاء بصيغة العموم وبلفظ الناس وصولا إلى حتمية البلاغ والدعوة لهذا الدين .

وتكليف الأمة بالبلاغ يرتقي بها لتكون رأسا في قيادة العالم ، أمة تقود ولا تقاد ، توجه ولا توجه، موفورة الكرامة ، قوية البنيان فهي أمة البلاغ والشهادة .

الهدف من الدراسة :

١- تهدف هذه الدراسة إلى معرفة بعض دلالات الخطاب القرآني المتعلقة بالحج وفهمها والاهتداء بها لإظهار عالمية الإسلام من خلال هذه الفريضة .
٢- بيان عموم رسالة الإسلام من خلال فريضة الحج وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، وضرورة تبليغها والدعوة إليها .
٣- الإفادة من هديه صلى الله عليه وسلم في حجه وخطبه ووصاياه ، وبيان يسر الإسلام ، وبناء الإنسان من خلال الجوانب الأخلاقية المتعلقة بالحج .

وقد اقتضت طبيعة البحث" عالمية الإسلام من خلال فريضة الحج " أن يأتي في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة .
المقدمة: تضمنت افتتاحية البحث وخطته .
التمهيد : التعريف بمصطلحي العالمية والحج
المبحث الأول : عموم الخطاب في الدعوة إلى الحج
المبحث الثاني : عالمية الإسلام من خلال شعائر الحج
المبحث الثالث : الأخلاق في الحج مظهر من مظاهر العالمية
ثم الخاتمة :وتضمنت أهم نتائج البحث.
والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبل صالح أعمالنا ، وأن يتجاوز عن سيئاتنا وتقصيرنا إنه جواد كريم .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[1].

(١) سورة هود الآية ٨٨.

تمهيد

التعريف بمصطلحي : العالمية والحج

أولاً : تعريف العالميَّة :

العالمية نسبة إلى العَالَم، والعالم في اللغة: (الْخلق كُله ، وَقيل: كل مَا حواه بطن الْفلك وكل صنف من أَصْنَاف الْخلق كعالم الْحَيَوَان وعالم النَّبَات (ج) عوالم وعالمون) [١].

(قال الزجاج: معنى العالمين كل ما خلق الله، كما قال:﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٢]، وهو جمع عالم، قال: ولا واحد لعالم من لفظه لأن عالما جمع أشياء مختلفة، فإن جعل عالم لواحد منها صار جمعا لأشياء متفقة. قال الأزهري: فهذه جملة ما قيل في تفسير العالم، وهو اسم بني على مثال فاعل كما قالوا خاتم وطابع ودانق[٣]) [٤].

(والعالم آلة في الدلالة على صانعه، ولهذا أحالنا الله تعالى عليه في معرفة وحدانيته، فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٥]. وأما جمعه فلأن من كل نوع من هذه قد يسمى عالما، فيقال: عالم الإنسان، وعالم الماء، وعالم النار)[٦].

وعالمية الإسلام هي عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ وشمولها للإنس والجن ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، فلا تختص بجنس دون آخر أو بمكان دون غيره .

---

(١) المعجم الوسيط ٦٢٤ ، ط دار الشروق ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٦٤.

(٣) الدانق، بفتح النون وكسرها: هو سدس الدينار والدرهم . لسان العرب : أبو الفرج جمال الدين ابن منظور ج١٠ ، ص ١٠٥ ، ط دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

(٤) لسان العرب ج١٢ ، ص ٤٢١.

(٥) سورة الأعراف الآية ١٨٥.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني ج٢ ، ص ١١٧ ، ط دار القلم ، دمشق.

(ويكون عالَميا لعدم اختصاصه بجنس من الأجناس البشرية، ولعدم انحصار تطبيقه في إقليم خاص أو بيئة معينة، وبامتداد هدايته أزماناً طويلة تتجاوز العصر الذي بدأت فيه ، بمعنى أن يكون الدين صالحاً لكل جنس وكل جيل ، أو لكل زمان ومكان)[١].

(وأمَّا المفهوم العام للعالميَّة باعتبارها إحدى خصائص تميُّز الأُمَّة الإسلاميَّة فهو: السمة العامَّة الشاملة لهذا التميُّز وملاءمته للمكلفين في كل مكان، وصلاحيته في كل زمان؛ لأنَّه ينبثق من عقيدة الإيمان باللَّه المالك لكل شيء، ورب كل شيء، والذي أحاط علمه بكل شيء، ويقف المكلفون إزاءه على قدم المساواة، دون النظر إلى أجناسهم، أو لغاتهم، أو أوطانهم، أو أزمانهم، ولأنه ينتهج نظامًا شرعه اللَّه عز وجل) [٢].

فعالمية الإسلام تخاطب البشرية كلها وتشملهم رغم التعدد والتنوع والاختلاف .

ثانياً : تعريف الحج :

الحج في اللغة القصد والزيارة، ففي لسان العرب:(الحج: القصد. حج إلينا فلان أي قدم؛ وحجه يحجه حجا: قصده. وحججت فلانا واعتمدته أي قصدته. ورجل محجوج أي مقصود)[٣].

وفي الاصطلاح :(قصد موضع مخصوص، وهو البيت بصفة مخصوصة في وقت مخصوص بشرائط مخصوصة) [٤].

والحج فريضة مشهودة ، وممارسة حية وواقعية تشهد بعالمية الإسلام ، أو هي تطبيق عملي لكل ما تحمله العالمية من معان .

---

(١) الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه : الشيخ عطية صقر ص ١٠، سلسلة إصدارات مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب الخامس ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م بتصرف يسير .

(٢) دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه: إسحاق بن عبد الله السعدي ،ج ٢ ، ص ٥٨٩، ط : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ، الطبعة: الأولى ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.

(٣) لسان العرب ج٢ ، ص ٢٢٦.

(٤) الاختيار لتعليل المختار: عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي ج١ ، ص ١٣٩ ، ط : الحلبي.

المبحث الأول : عموم الخطاب في الدعوة إلى الحج

المطلب الأول :عموم الخطاب في القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كل كلمة ذكرت في القرآن الكريم وردت في موضعها وغيرها من الألفاظ لا يسد مسدها .

يقول الشيخ أبو زهرة[١] : (لقد قرر المفسرون أن كل نص ابتدأ النداء فيه بـ "يا أيها الناس" ، يكون الخطاب فيه للناس جميعا ، غير مختص بقبيل دون قبيل ، لأن العنوان فيه للإنسانية كلها، فكل من يتصف بها داخل في الخطاب)[٢].

فعموم الخطاب الإلهي للناس يدل على ملائمة الخطاب لكل الناس ، فهو يوجههم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم ،ويراعي اختلافهم وتنوعهم .

(إن عالمية الخطاب الإسلامي عملت وتعمل على استيعاب التعدد بعد الإقرار به ، ودفعه باتجاه العالمية ليتحول إلى عامل دفع في إطار تنوع بشري إيجابي تظلل عليه أنوار الهدى ودين الحق، التي لا تسمح ببروز أية أسباب أو عوامل للانقسام الديني والطائفي ، فالإسلام قد جعل من نفسه

---

(١) الإمام محمد أحمد مصطفى أبو زهرة ، ولد في مارس سنة ١٨٩٨ م في مدينة المحلة الكبرى إحدى مدن محافظة الغربية ، بعد حفظ القرآن الكريم تعلم مبادئ العلوم المدنية كالرياضيات، التي كان شديد الولع بها، والجغرافية والفلسفة مع العلوم العربية. التحق في سنة ١٩١٣ م بالجامع الأحمدي بطنطا ومكث فيه ثلاث سنين، انتقل في أول يناير سنة ١٩٣٣م إلى كلية أصول الدين مدرسا للجدل والخطابة فيها ثم تاريخ الديانات والملل والنحل، وفيها أخرج أول مؤلفاته كتاب " الخطابة " وكتاب " تاريخ الجدل " ثم كتاب " تاريخ الديانات القديمة " ثم كتاب " محاضرات في النصرانية " توفي صباح يوم الجمعة ١٢/ ٤/ ١٩٧٤ م.

انظر: زهرة التفاسير ج١ ، ص ٣ وما بعدها بتصرف .

(٢) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام : الإمام محمد أبو زهرة ص ٤٨ ، ط الدار السعودية للنشر والتوزيع – الرياض – ط الثانية ١٤٠١هـ – ١٩٨١ .

محور جذب لا محور تنابذ وطرد كالمركزية الغربية المستعلية المعاصرة ،كما جعل من الأمة المخرجة قطب تأليف واستيعاب)[1].

والله تعالى في كل التكاليف والواجبات ينادي عباده بلفظ الإيمان ففي الصلاة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

وفي الزكاة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[3].

وفي الصيام ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4].

وفي القصاص ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [5].

لكن في شعيرة الحج جاء الخطاب عاما بلفظ الناس وهو يشمل الشعوب والأمم والأقوام مختلفة الأجناس والألوان واللغات ، وهو تعبير مقصود لإظهار عالمية الإسلام مع أن الحج شأنه شأن سائر العبادات لكن العالمية فيه أظهر والدعوة من خلاله أوضح ، واختيار هذه اللفظة دون سواها أمر له أهميته في إيصال المعرفة والعلم لكل الناس ، وبيان أن الدعوة تشمل عموم الناس.

([1]) الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر : د . طه جابر العلواني ص ٦٧ ، ط دار الهادي – بيروت– الطبعة الأولي ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م .

([2]) سورة الجمعة الآية ٩ .

([3]) سورة البقرة الآية ٢٦٧.

([4]) سورة البقرة الآية ١٨٣.

([5]) سورة البقرة الآية ١٧٨.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [1].

ففي هاتين الآيتين نلاحظ ألفاظ : " للناس " " للعالمين " " الناس " " العالمين " ، ومجئ هذه الآيات في سياق الحديث عن الحج تبين أن دعوة الإسلام دعوة عامة لجميع الناس ، وأن شرائع الدين وأحكامه غير محصورة في فئة من الناس وإنما هي للجميع وفي وسعهم .

وكلمة الناس تعني النّاس جميعا، لا تخصّ أمة من الأمم، ولا تنحصر في شعب من الشعوب، إنها دعوة الله إلى كل النّاس ، وهذا مظهر من مظاهر عالمية الخطاب .

ومما يجب التنويه عليه أن آيات الحج في سورة آل عمران جاءت في معرض الحديث عن أهل الكتاب ودعوتهم لاتباع ملة إبراهيم عليه السلام الذي ينتسبون إليه ، فالحج من دينه عليه السلام، وفي الحديث عن الحج ومخاطبة أهل الكتاب بذلك دلالة واضحة على عالمية الدعوة من خلال الحج .

يقول الرازي[2] :(إن حج الكعبة كان ملة إبراهيم واليهود والنصارى لا يحجون، فيدل هذا على كذبهم في ذلك) [3].

خطاب غير المسلم بفروع الإسلام

عموم الخطاب في آيات الحج دعوة لجميع الناس للدخول في هذا الدين، وتأدية فرائضه ومنها فريضة الحج .

([1]) سورة ال عمران الآيتان ٩٦ ، ٩٧.

([2]) هو الإمام أبو عبد الله ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، فخر الدين الرازي الإمام المفسر ، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ، ولد في الري سنة ٥٤٤هـ وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ، له تصانيف كثيرة ، منها : مفاتيح الغيب ، لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالي والصفات ، معالم اصول الدين ، المطالب العالية ، أساس التقديس ...وغيرها من المؤلفات .انظر : الأعلام : خير الدين الزركلي ج٦ ص ٣١٣ ، ط دار العلم للملايين .

(٣) مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي ج ٨، ص٢٩٥، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت –ط الثالثة ١٤٢٠هـ.

ومما لا ريب فيه أن الدعوة إلي الأصول تسبق الفروع ، وهذا من باب فقه الدعوة ، وقد أصل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأصل حين بعث معاذا[١] إلى اليمن .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[٢]، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ بَعَثَ مُعَاذًا، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ: أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ" [٣]

(بدأ بالشهادتين لأنهما أصل الدين فلا يصح شيء من أعماله إلا بهما) [٤].

وفي الحديث : مراعاة أحوال المدعو ، وترتيب الأولويات في الدعوة فيبدأ بالأصول ثم الفروع ، فلا يطالب أحد بفروع الشريعة قبل تحقيق التوحيد فالإيمان يسبق الأعمال ، وفي الحديث مراعاة التدرج مع المدعوين .

(وفي قوله – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ دليل بَيّن ألّا يُطالب أحد بفروع الشريعة إلا بعد ثبات الإيمان، وحجة لمن يقول: إن الكفار غير مخاطبين بفروع الشرائع؛ لقوله: " فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات "، وفي الرواية الأخرى: " فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات "

وقد يحتج من يقول بالقول الآخر[١] بأن هذا على تقديم الآكد في التعليم، ألا تراه كيف رتب ذلك في الفروع، وبدا بعضها على بعض؟!)[٢] .

---

(١) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو الأنصاريّ الخزرجيّ ،الإمام المقدّم في علم الحلال والحرام ، شهد بدرا وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وأمّره النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم على اليمن ، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة أو التي بعدها، وهو قول الأكثر، وعاش أربعا وثلاثين سنة. انظر: الإصابة ج٦ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو العباس، أمه لبابة بنت الحارث ، كان يسمى الحبر والبحر لكثرة علمه، وحدة فهمه، وحبر الأمة وفقيهها، ولسان العشيرة ومنطيقها، ترجمان القرآن . كان مولده عام الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين، وقيل: سنة سبعين، وصلى عليه محمد ابن الحنفية . انظر : معرفة الصحابة: أبو نعيم الأصبهاني ج٣ ، ص ١٦٩٩ وما بعدها ، ت : عادل بن يوسف العزازي ، ط: دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

(٣) صحيح البخاري كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ج٢ ، ص ١٣٠.

(٤) المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود : محمود محمد خطاب السبكي ج٩ ، ص ١٨٤، مطبعة الاستقامة – القاهرة –الطبعة الأولى، ١٣٥١ – ١٣٥٣ هـ.

يقول الإمام النووي[٣] عن هذا الحديث :(واستدل به بعضهم على أن الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشريعة من الصلاة والصوم والزكاة وتحريم الزنا ونحوها لكونه صلى الله عليه وسلم قال: فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن عليهم ، فدل على أنهم إذا لم يطيعوا لا يجب عليهم وهذا الاستدلال ضعيف . فإن المراد أعلمهم أنهم مطالبون بالصلوات وغيرها في الدنيا والمطالبة في الدنيا لا تكون إلا بعد الإسلام ، وليس يلزم من ذلك أن لا يكونوا مخاطبين بها يزاد في عذابهم بسببها في الآخرة ، ولأنه صلى الله عليه وسلم رتب ذلك في الدعوة إلى الإسلام وبدأ بالأهم فالأهم ألا تراه بدأ صلى الله عليه وسلم بالصلاة قبل الزكاة ، ولم يقل أحد إنه يصير مكلفا بالصلاة دون الزكاة والله أعلم . ثم اعلم أن المختار أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه هذا قول المحققين والأكثرين)[٤].

واستدل ابن حزم[٥] بقوله تعالى :﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[٦] علي مخاطبة الكفار بفروع الشريعة ، وبوب بابا بعنوان لزوم الشريعة الإسلامية لكل مؤمن وكافر في الأرض .

---

(١) هو أن الكفار مخاطبون بأصول الشريعة وفروعها .

(٢) إكمال المعلم بفوائِد مسلم: القاضي عياض بن موسى بن عياض ج١ ، ص ٢٤٠ ، ، ت د . يحْيَى إِسْمَاعِيل ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر – الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

(٣) هو الإمام أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي ، علامة بالفقه والحديث ، ولد في نوا من قرى حوران بسورية وإليها نسبته سنة ٦٣١ هـ ، وتوفي بها سنة ٦٧٦هـ. له تصانيف كثيرة منها : منهاج الطالبين ، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، التقريب والتيسير ، رياض الصالحين .... وغيرها كثير . انظر : الأعلام ج٨ ، ص ١٤٩.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ج١ ، ص ١٩٨ ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ بتصرف يسير

(٥) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم " الحزمية " ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ ، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيدا عن المصانعة. توفي في بادية ليلة من بلاد الأندلس سنة ٤٥٦ هـ .
أشهر مصنفاته : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، المحلى ، جمهرة الأنساب ، الناسخ والمنسوخ ، جوامع السيرة ومعه خمس رسائل له، الإحكام في أصول الأحكام ، مداواة النفوس ، طوق الحمامة . انظر : الأعلام ج٤ ، ص ٢٥٤ .

(٦) سورة الأعراف الآية ١٥٨ .

يقول رحمه الله : (هو نص جلي على لزوم شرائع الاسلام كلها للكفار كلزومها للمؤمنين، إلا أن منها ما لا يقبل منهم إلا بعد الإسلام، كالصلاة والصيام والحج، وهم في ذلك كالجنب وتارك النية والمحدث لا تقبل منه صلاة حتى يطهر، ولا صيام ولا حج إلا بإحداث النية في ذلك) [١].

ويقول الشيرازي[٢]:(وأما الكفار فإنهم يدخلون أيضا في الخطاب ، ومن أصحابنا من قال : لا يدخلون في الشرعيات ، ومن الناس من قال : يدخلون في المنهيات دون المأمورات والدليل على أنهم يدخلون في الجميع قوله عز وجل ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾[٣] ولو لم يكونوا مخاطبين بالصلاة لما عاقبهم عليها ، ولأن صلاح الخطاب لهم كصلاحه للمسلمين ، فكما دخل المسلمون وجب أن يدخل الكفار)[٤].

ورجح ابن عثيمين[٥] القول بأن الكفار مخاطبون بفروع الإسلام كما هم مخاطبون بأصوله : (القول الراجح من أقوال أهل العلم أن الكافر مخاطب بفروع الإسلام، كما هو مخاطب بأصوله، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام : ابن حزم الظاهري ج٥ ، ص ١٠٩ ، ت : الشيخ أحمد محمد شاكر ، ط دار الآفاق الجديدة ، بيروت.

(٢) إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي، أبو إسحاق: العلامة المناظر، ولد في فيروز آباد بفارس سنة ٣٩٣ هـ وانتقل إلى شيراز فقرأ على علمائها ، وانصرف إلى البصرة ومنها إلى بغداد سنة ٤١٥ هـ فأتم ما بدأ به من الدرس والبحث. وظهر نبوغه في علوم الشريعة الإسلامية، فكان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره، واشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة. وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية على شاطئ دجلة، فكان يدرس فيها ويديرها.

عاش فقيرا صابرا، وكان حسن المجالسة، طلق الوجه، فصيحا مناظرا، ينظم الشعر. وله تصانيف كثيرة، منها : التنبيه ، المهذب ، طبقات الفقهاء ، اللمع في أصول الفقه، وشرحه، الملخص والمعونة في الجدل.

مات ببغداد سنة ٤٧٦هـ وصلى عليه المقتدى العباسي. انظر: الأعلام ج١ ، ص ٥١ .

(٣) سورة المدثر الآيتان ٤٢ ، ٤٣ .

(٤) اللمع في أصول الفقه : أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ص ٢١، ط دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

(٥) محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين من الوهبة من بني تميم ، ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ في عنيزة – إحدى مدن القصيم – في المملكة العربية السعودية، اختير عضوًا في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام ١٤٠٧هـ إلى وفاته.

وقد مُنح جائزة الملك فيصل – رحمه الله – العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ .

تُوفي يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال عام ١٤٢١هـ، وصُلِّي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة عصر يوم الخميس، ودفن في مكة المكرمة. انظر : http://binothaimeen.net/content/pages/about

سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾[1] ووجه الدلالة من الآية: أنهم ذكروا من أسباب دخولهم النار أنهم لم يكونوا من المصلين، ولا من المطعمين للمسكين) [2] .

مما سبق يظهر:

(١) أن الدعوة إلي الإيمان تسبق الدعوة إلى الأعمال .

(٢) الفقهاء اختلفوا في خطاب غير المسلم بفروع الشريعة على قولين .

(٣) ليس معنى خطاب غير المسلم بالحج أنه ملزم به حال الكفر؛ لأن الإسلام شرط في قبول الأعمال، فمخاطبتهم بالحج وغيره من فروع الشريعة هى دعوة للدخول في الإسلام ثم الالتزام بشريعته وأحكامه.

هداية البيت الحرام : من عموم الخطاب القرآني أنه وصف البيت الحرام بأنه هدى للعالمين ، فهداية البيت للمسلمين ولغيرهم ، فالبيت هدى لمن اهتدي به .

يقول الطاهر بن عاشور[3] في قوله:(" وهدى " مبالغة لأنه سبب هدى، وجعل هدى للعالمين كلهم: لان شهرته، وتسامع الناس به، يحملهم على التساؤل عن سبب وضعه، وأنه لتوحيد الله ، وتطهير النفوس من خبث الشرك، فيهتدي بذلك المهتدي، ويرعوي المتشكك) [4].

وهداية البيت الحرام هي هداية الدلالة والبيان ومعرفة النسك والشعائر من خلال سيدنا إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام .

---

(١) سورة المدثر الآيات ٣٩- ٤٧.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع : محمد بن صالح بن محمد العثيمين ج٥ ، ص ١٠، ط دار ابن الجوزي.

(٣) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الإمام الضليع في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية. تعلم في الكتاب حتى أتقن حفظ القرآن، ثم تعلم ما تيسر من اللغة الفرنسية، والتحق بجامع الزيتونة في سنة ١٣١٠ – ١٨٩٢.... سمي نائبا عن الدولة لدى نظارة جامع الزيتونة فابتدأ أعماله بإدخال نظم مهمة على التعليم بحسب ما سمح به الحال، وحرر لائحة في إصلاح التعليم وعرضها على الحكومة فوقع تنفيذ شيء منها وأبقي الكثير منها في انتظار فرصة أخرى. وسعى في إحياء بعض العلوم العربية ، له مصنفات كثيرة منها: أصول الإنشاء والخطابة، التحرير والتنوير ، مقاصد الشريعة الإسلامية. توفي يوم الأحد ١٣ رجب ١٣٩٣– ١٢ أوت ١٩٧٣م . انظر : تراجم المؤلفين التونسيين : محمد محفوظ ج٣ ، ص ٣٠٤، ط دار الغرب الإسلامي – بيروت – الطبعة: الثانية، ١٩٩٤ م .

(٤) التحرير والتنوير" تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ج٣ ، ص ١٦٢ ، ط الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

يقول ابن القيم[1]: (فالهداية هي البيان والدلالة ، ثم التوفيق والإلهام ، وهو بعد البيان والدلالة ، ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل ، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق وجعل الإيمان في القلب وتحبيبه إليه وتزيينه في القلب وجعله مؤثرا له راضيا به راغبا فيه. وهما هدايتان مستقلتان لا يحصل الفلاح إلا بهما) [2].

فالبيت هدى للعالمين وهذه الهداية هي هداية الدلالة والبيان ، وهي لا تستلزم الاهتداء فقد تكون سببا في هداية بعض الناس وقد لا تكون بخلاف هداية التوفيق .

والحج في البقاع الطاهرة فيه من مظاهر عالمية الدين حيث شعائر الحج ومبادئ الدين فيها المساواة ونبذ العنصرية، والألفة والاجتماع كل هذا وغيره مما تشاهده العيون وتسمعه الآذان من خلال : الأقمار الصناعية ، والقنوات الفضائية ، والإذاعات والصحف والمجلات .

وتأتي آية الإعلام بالحج عامة دعوة لجميع الناس للدخول في الإسلام وتأدية شعائره ونسكه.

قال تعالى : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[3].

([1])الإمام المحدث الفقيه المفسر شمس الدين أبوبكر عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، ولد رحمه الله في اليوم السابع من شهر صفر سنة ٦٩١هـ ، وقد نشأ في جو علمي كريم حيث كان أبوه قيما علي المدرسة الجوزية ، ولذا اشتهر بين أهل العلم بابن قيم الجوزية ، كان عالما بالتفسير وأصول الحديث ومعانيه ودقائق الاستنباط منه ومن أشهر مشايخه والده أبو بكر وابن تيمية ، ومن أشهر تلاميذه : ابن كثير ، ابن رجب الحنبلي ، له تصانيف منها : زاد المعاد في هدي خير العباد ، وأعلام الموقعين ، وبدائع الفوائد ، وطريق الهجرتين ومفتاح دار السعادتين ، وشرح منازل السائرين ، والقضاء والقدر، وجلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ، ومفتاح دار السعادة ، والروح وحادي الأرواح ، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، وتصانيف أخرى وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف وهو طويل النفس فيها ي ، توفي ١٣ رجب سنة ٧٥١ هـ.

انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ج٥ ، ص ١٣٧ ، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد– الهند ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ–١٩٧٢م.

([2]) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية ،ج١ ،ص ١٢ ، ط دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثانية ١٣٩٣هـ.

([3]) سورة الحج الآية ٢٧.

يقول ابن كثير[1] : (قوله ﴿ وأذن في الناس بالحج﴾ أي: ناد في الناس داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه. فذكر أنه قال: يا رب، وكيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟ فقيل: ناد وعلينا البلاغ.

فقام على مقامه، وقيل: على الحجر، وقيل: على الصفا، وقيل: على أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة: "لبيك اللهم لبيك") [2].

ومن عموم الخطاب في هذه الآية تعدية الفعل " أذن " بحرف الجر " في" ليفيد عموم الناس في كل عصر.

(وعدى الفعل بـ " في " ولم يقل الناس ، بل قال تعالى: " فِي النَّاسِ" للإشارة إلى عموم الإعلام في الناس، لأنه إذا لم يذكر في، فقد يفهم أنه يكلم أهل عصره، أو من يمكنه خطابهم فقط، وذكر فِي يدل على أن الإعلام في أوساط الناس كلهم، لَا فرق بين القريب الداني والبعيد القاصي، فالجميع يجب أن يبادروا إلى الحج إلى بيت اللَّه، لأنه أول بيت وضع للعبادة للناس، ولأن التأذين بالحج يتضمن إعلام الناس) [3].

وفي قوله " من كل فج عميق " إشارة إلى عالمية هذا الدين وبشارة إلى أنه سيصل كل بقاع الأرض وأن الناس سيأتون حاجين من كل الأمكنة .

([1]) أبو الفداء، عماد الدين ، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي ، حافظ مؤرخ فقيه ، ولد في قرية من أعمال بصري الشام سنة ٧٠١هـ ، انتقل مع أخ له إلي دمشق سنة ٧٠٦ هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ .
له تصانيف كثيرة ، منها : البداية والنهاية ، تفسير القرآن العظيم ، الاجتهاد في طلب الجهاد ، جامع المسانيد ، وغيرها من المؤلفات .
انظر : الأعلام : خير الدين الزركلي ج١ ، ص ٣٢٠ .

([2]) تفسير القرآن العظيم :أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ،ج ٣ ، ص ٢٦٤ ، دار الفكر ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.

([3]) زهرة التفاسير : الإمام محمد أبو زهرة ج ٩ ، ص ٤٩٧١ ، ط دار الفكر.

يقول د . محمد سيد طنطاوي [1]: (والفج في الأصل: الفجوة بين جبلين، ويستعمل في الطريق المتسع. والمراد به هنا: مطلق الطريق وجمعه فجاج.

والعميق: البعيد، مأخوذ من العمق بمعنى البعد، ومنه قولهم: بئر عميقة، أي: بعيدة الغور.

والمعنى: وأعلم يا إبراهيم الناس بفريضة الحج يأتوك مسرعين مشاة على أقدامهم، ويأتوك راكبين على دوابهم المهزولة، من كل مكان بعيد) [2].

وما زالت الفجاج البعيدة ترسل كل عام سفراءها تصديقا لموعود الله وبشارة بظهور وانتشار الإسلام ودلالة وتحقيقا لعموم الخطاب وعالمية الإسلام .

المطلب الثاني : عموم الخطاب في السنة النبوية وحج الأنبياء عليهم السلام

جاءت السنة المطهرة تحمل في ثناياها عالمية الإسلام من خلال الحج حيث جاء النداء من النبي ﷺ للجميع بلفظ " أيها الناس" وعموم الخطاب دلالة على العالمية ووجوب الدعوة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ ، فَحُجُّوا "[1].

([1]) ولد محمد سيد طنطاوي في ٢٨ أكتوبر ١٩٢٨م بقرية سليم الشرقية في محافظة سوهاج، تعلم وحفظ القرآن في مدينة الإسكندرية، حصل على الدكتوراه في الحديث والتفسير عام ١٩٦٦ بتقدير ممتاز، ثم عمل مدرسًا في كلية أصول الدين، ثم انتدب للتدريس في ليبيا لمدة ٤ سنوات. عمل في المدينة المنورة عميدًا لكلية الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية، وعين مفتيًا للديار المصرية في ٢٨ أكتوبر ١٩٨٦. ثم عين شيخًا للأزهر في العام ١٩٩٦. توفي في العاصمة السعودية الرياض إثر أزمة قلبية مفاجئة. وكان قد وصل إلى المملكة العربية السعودية لحضور حفل منح جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام للفائزين بها هذا العام.
انظر : الموسوعة التاريخية: إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف ، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

([2]) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: د محمد سيد طنطاوي ج ٤ ، ص ٣٠١ ، دار نهضة مصر– القاهرة .

([3]) أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، مشهور بكنيته، واختلف في اسمه واسم أبيه كثيراً، أسلم أبو هريرة عام خيبر، وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم راضيا بشبع بطنه، فكانت يده مع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يدور معه حيث دار، أكثر الصحابة حديثاً وأحفظهم له، استعمله عمر بن الخطاب على البحرين ثم عزله، ثم أراده على العمل فأبى عليه، ولم يزل يسكن المدينة وبها كانت وفاته سنة ٥٧هـ.

" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ "، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»[٢].

الحج في عهد إبراهيم عليه السلام

الحج ركن من أركان الدين ارتبط بشعائره وأوقاته وأحواله بإبراهيم الخليل عليه السلام ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٣].

يقول الأستاذ محمد دروزة [٤]: (إشارة إلى ما كان من أمر هذا البيت في البدء، حيث اختص الله مكانه ليكون معبدا ومنطقة أمن وسلام، وأمر إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا هذا المكان ويهيئاه

انظر في ترجمته: الاستيعاب لابن عبد البر ج٤ ، ص ١٧٦٨ .

(١) صحيح مسلم "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" : الإمام مسلم بن الحجاج ، كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر ،ج ٢ ، ص ٩٧٥، ح ١٣٣٧ ، تحقيق :محمد فؤاد عبد الباقي ، ط : دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

(٢) صحيح البخاري" الجامع المسند الصحيح المختصر": الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى ، ج٢ ، ص ٢١٥ ، ح ١٧٣٩، ط دار الشعب ، القاهرة.

(٣) سورة البقرة الآيات ١٢٥– ١٢٩.

(٤) محمد عزة دروزة مفكر وكاتب عربي ولد في نابلس في ٢١ حزيران ١٨٨٧م وتوفي في دمشق في ٢٦ تموز ١٩٨٤م. كان أديباً وصحفياً ومترجماً ومؤرخاً ومفسراً للقرآن له تصانيف منها : القرآن واليهود ، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، التفسير الحديث ، الدستور القرآني والسنة النبوية في شؤون الحياة ، المرأة في القرآن والسنة ، الإسلام والاشتراكية ، القرآن والمبشرون.

وافته المنية في دمشق بحي الروضة في يوم الخميس ٢٦ من تموز ١٩٨٤ الموافق ٢٨ من شوال ١٤٠٤هـ.

انظر : الموسوعة التاريخية: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف ، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net .

ويبنياه ليكون مكان طواف وعكوف وركوع وسجود للناس جميعا، وحيث صدعا بالأمر ورفعا قواعد البيت ودعوا الله أن يتقبل منهما خدمتهما وأن يهديهما إلى معرفة ما يجب عليهما من المناسك ويساعدهما على أدائها وأن يجعلهما مسلمين له وحده وأن يجعل ذريتهما أيضا أمة مسلمة منقادة له وحده. وأن يبعث فيها رسولا منها يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب وكل ما فيه الصواب والسداد ويطهر نفوسهم وينقذهم من الضلال ويرشدهم إلى الحق والخير والهدى)[١].

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[٢].

يقول السعدي[٣] : (يحتمل أن يكون المراد بالمناسك: أعمال الحج كلها، كما يدل عليه السياق والمقام، ويحتمل أن يكون المراد ما هو أعم من ذلك وهو الدين كله، والعبادات كلها، كما يدل عليه عموم اللفظ، لأن النسك: التعبد، ولكن غلب على متعبدات الحج، تغليبا عرفيا، فيكون حاصل دعائهما، يرجع إلى التوفيق للعلم النافع، والعمل الصالح) [٤].

واستجاب الله دعاء إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام حيث أراهما المناسك وعلمهما إياها من خلال أمين الوحي جبريل عليه السلام .

" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو[٥] قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ إِبْرَاهِيمَ يُرِيهِ الْمَنَاسِكَ فَصَلَّى بِهِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالصُّبْحَ بِمِنًى. ثُمَّ ذَهَبَ مَعَهُ إِلَى عَرَفَةَ فَصَلَّى بِهِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِعَرَفَةَ، وَوَقَّفَهُ

انظر: تكملَة معجم المؤلفين: محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف ص ٥٢٣، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

(١) التفسير الحديث : محمد عزة دروزة ج٦ ، ص ٢٣٨ ، ط دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – الطبعة: ١٣٨٣هـ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٨.

(٣) هو الشيخ العلامة الزاهد الورع الفقيه الأصولي المفسر عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي من نواصر من بني عمرو أحد البطون الكبار من قبيلة بني تميم. ولد في مدينة عنيزة في الثاني عشر من شهر الله المحرم سنة ألف وثلاثمائة وسبع للهجرة النبوية الشريفة

قام رحمه الله بأعمال جليلة أعظمها دروسه العلمية، وخطبه المنبرية، وتأسيسه وتشجيعه لكثير من الأعمال والمشاريع الخيرية.

توفي قبل طلوع فجر يوم الخميس ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ عن تسع وستين سنة.

انظر : http://www.al-tawhed.net/shekh/showCat.aspx?id=32

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ص ٦٦ ، ت :عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط مؤسسة الرسالة ،الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

(٥)عبد اللَّه بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤيّ القرشيّ السّهمي ، أمّه ريطة بنت منبه بن الحجاج السّهمي ، لم يفته أبوه في السن إلا باثنتي عشرة، ولد لعمرو:

فِي الْمَوْقِفِ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ دَفَعَ بِهِ، فَصَلَّى بِهِ الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالصُّبْحَ بِالمُزْدَلِفَةِ، ثُمَّ أَبَاتَه لَيْلَتَهُ، ثُمَّ دَفَعَ بِهِ حَتَّى رَمَى الْجَمْرَةَ، فَقَالَ لَهُ: اعْرف الْآنَ، فَأَرَاهُ الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا، وفَعَلَ ذَلِكَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[١].

ثم أمره الله بالآذان والبلاغ ودعوة الناس للحج ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ "[٢].

(عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ قِيلَ لَهُ : أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ قَالَ : رَبِ وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي ؟ قَالَ : أَذِّنْ وَعَلَيَّ الْبَلاَغُ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمَ الْحَجُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، قَالَ : فَسَمِعَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ، أَلاَ تَرَى أَنَّ النَّاسَ يَجِيئُونَ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ يُلَبُّونَ) [٣].

"عن يَزِيد بْن شَيْبَانَ[٤]، قَالَ: كُنَّا وُقُوفًا مِنْ وَرَاءِ الْمَوْقِفِ مَوْقِفًا يَتَبَاعَدُهُ عَمْرٌو مِنَ الْإِمَامِ، فَأَتَانَا ابْنُ مِرْبَعٍ الْأَنْصَارِيُّ[٥]، فَقَالَ: إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، يَقُولُ لَكُمْ: "كُونُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ إِبْرَاهِيمَ" [٦].

وكما أرى الله المناسك لإبراهيم استجاب له ولولده دعوتهما وبعث محمدا ﷺ للعالمين من ذريتهما.

حج موسي عليه السلام

عبد الله، وهو ابن اثنتي عشرة سنة. أسلم قبل أبيه، توفي سنة ثلاث وستين. وقيل :مات بمكة سنة سبع وستين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . انظر : ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر ج٣ ، ص ٩٥٦، وانظر : الإصابة ج٤ ، ص ١٦٥.

(١) صحيح ابن خزيمة ج ٢ ، ص ١٣٣٩، ح ٢٨٤٢ ، ت : د. محمد مصطفى الأعظمي ، ط المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

(٢) سورة الحج الآية ٢٧.

(٣) قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك على الصحيحين للحاكم ج٢ ، ص ٢٥٨ ، ح ٣٥٢١ ، ت أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ، ط دار الحرمين - القاهرة - الطبعة: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م . وانظر : مصنف ابن أبي شيبة ج١١ ، ص ٥١٨ ، ح رقم ٣٢٤٧٨ ،ط الدار السلفية ، الهند.

(٤) يزيد بن شيبان الأزديّ ، ويقال الديليّ، خال عمرو بن عبد اللَّه بن صفوان الجمحيّ. قال ابن أبي حاتم: له صحبة. انظر : الإصابة ج٦ ، ص ٥٢٢ .

(٥)عبد الله بن مربع الأنصاري،اختلف فيه، فقيل : يزيد بن مربع. وقيل: زيد بن مربع. وقيل :عبد الله ابن مربع.انظر :الاستيعاب ج٣ ، ص ٩٨٦ .

(٦) صحيحُ ابن خزيمة ج ٢ ، ص ١٣٣٠، ح ٢٨٢٠ . وانظر: سنن أبو داود ، باب موضع الوقوف بعرفة ج٣ ، ص ٢٩٨ ، ح ١٩١٩ ، ت : شعيب الأرناؤوط - محمد كامِل قره بللي ، ط دار الرسالة العالمية ، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

وردت أحاديث وروايات تثبت حج كثير من الأنبياء بعد سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وفي مقدمتهم موسى الكليم .

"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِوَادِي الأَزْرَقِ ، فَقَالَ : أَيُّ وَادٍ هَذَا؟ فَقَالُوا : هَذَا وَادِي الأَزْرَقِ ، قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ ، ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى ، فَقَالَ : أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ ؟ قَالُوا : ثَنِيَّةُ هَرْشَى ، قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي "(١).

وفي الحديث دلالة واضحة على حج سيدنا موسي وسيدنا يونس عليهما السلام للبيت الحرام ، وذكر بعض أوصافهما ؛ من رفع الصوت بالتلبية لموسي عليه السلام ، وتلبية يونس عليه السلام ووصف جبته ، وناقته وخطامها الليف .

يقول النووي : (فإن قيل كيف يحجون ويلبون وهم أموات ؟ وهم في الدار الآخرة وليست دار عمل. فاعلم أن للمشايخ وفيما ظهر لنا عن هذا أجوبة :

أحدها : أنهم كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا كما ورد في الحديث الآخر وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا لأنهم وإن كانوا قد توفوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى إذا فنيت مدتها وتعقبتها الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل .

الوجه الثاني: أن عمل الآخرة ذكر ودعاء قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام .

الوجه الثالث : أن تكون هذه رؤية منام في غير ليلة الإسراء أو في بعض ليلة الاسراء كما قال في رواية ابن عمر رضي الله عنهما بينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة وذكر الحديث في قصة عيسى صلى الله عليه وسلم

الوجه الرابع: أنه صلى الله عليه وسلم أري أحوالهم التي كانت في حياتهم ومثلوا له في حال حياتهم كيف كانوا وكيف حجهم وتلبيتهم كما قال صلى الله عليه وسلم كأني أنظر إلى موسى وكأني أنظر إلى عيسى وكأني أنظر إلى يونس عليهم السلام

الوجه الخامس: أن يكون أخبر عما أوحي إليه صلى الله عليه وسلم من أمرهم وما كان منهم وإن لم يرهم رؤية عين) (٢).

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات ج ١، ص ١٥١،ح ١٦٥.

(٢)المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، ج٢ ،ص٢٢٩ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط الثانية، ١٣٩٢هـ.

وباستحضار النصوص وفهمها في ضوء عالمية الإسلام يمكن القول : إنه صلى الله عليه وسلم أري أحوالهم وحجهم ، أو أنه أخبر عما أوحى الله إليه من حجهم .

حج عيسى ابن مريم عليه السلام

رفع عيسى عليه السلام وقد بشر بالنبي الخاتم وسينزل آخر الزمان لا بشريعة جديدة وإنما بشريعة محمد ﷺ ، وقد أقسم الصادق المعصوم على إهلال سيدنا عيسى عليه السلام بالحج.

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ، حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا "(١).

حج النبي محمد صلى الله عليه وسلم

استجاب الله دعاء إبراهيم عليه السلام:﴿ رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٢)، وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم.

يقول الطاهر بن عاشور: (إنما قال: فيهم ولم يقل لهم لتكون الدعوة بمجيء رسول برسالة عامة فلا يكون ذلك الرسول رسولا إليهم فقط ، ولذلك حذف متعلق رسولا ليعم، فالنداء في قوله: ربنا وابعث اعتراض بين جمل الدعوات المتعاطفة، ومظهر هذه الدعوة هو محمد ﷺ فإنه الرسول الذي هو من ذرية إبراهيم وإسماعيل كليهما)(٣).

وجاءت شعيرة الحج مغايرة ومختلفة عن حج قبائل العرب ، حيث أرسل النبي أبا بكر الصديق في السنة التاسعة للهجرة ، ليزيل آثار الشرك والوثنية عن هذه الشعيرة ، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: " بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي أَمَّرَهُ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فِي رَهْطٍ، يُؤَذِّنُونَ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ: لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ" (٤).

والنبي يرد الحج إلى أصله ويجدد الصلة بإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام ، ويزيل آثار الشرك عن هذه العبادة .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الحج ، باب إهلال النبي ﷺ وهديه ، ج ٢ ،ص ٩١٥ ،ح ١٢٥٢.

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٩.

(٣) التحرير والتنوير ج١ ، ص ٧٢٢.

(٤) صحيح الإمام مسلم ، كتاب الحج ، باب لا يحج البيت مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وبيان يوم الحج الأكبر،ج٢ ، ص ٩٨٢ ، ح ١٣٤٧ .

عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا، يَقُولُ: " رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: " لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ "(١)

وبيانه للمناسك وتأديته لها إبلاغ وتعليم للحج الذي فرضه الله علي المسلمين .

ففي الحديث : "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ "، ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ" (٢).

وتكرار الحج وبقاؤه على ما كان عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وذوبان القوميات والفوارق الاجتماعية مظهر من مظاهر العالمية المتجددة بتجدد الشعيرة وتوحد النداء والهدف .

المطلب الثالث: تنوع الشرائع ووحدة الأصول

دعوات الرسل والأنبياء تشكل وحدة متلاحمة وجوهرا مشتركا وثابتا ، فأصولها واحدة حيث إن دينها واحد ، وتختلف شرائعها باختلاف الأزمنة والأحوال .

قال الله تعالى :﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (٣) . وهذه الآية تبرز وحدة المصدر لجميع الشرائع ، ووحدة المنهج ، وأن رسالة سيدنا محمد ﷺ عالمية تحتوي جميع الرسالات .

(ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم أقامت مفهوم العالمية فيها على أن الدين واحد من الأزل إلى الأبد ، وأن الأنبياء إخوة في التعريف بالله والدلالة عليه واقتياد البشرية إليه.. وأن القرآن الكريم جمع في سياقه الباقي كل ما تناثر على ألسنة النبيين من عقائد وفضائل ، ولذلك فإن

---

(١) صحيح الإمام مسلم ، كتاب الحج ، باب لا يحج البيت مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وبيان يوم الحج الأكبر،ج٢ ، ص ٩٤٣ ، ح ١٢٩٧ .

(٢) صحيح الإمام مسلم ، باب فرض الحج مرة في العمر ج٢ ، ص ٩٧٥ ، ح ١٣٣٧.

(٣) سورة الشورى الآية ١٣.

الإيمان بهم جميعا مطلوب ، والكفر بأحدهم انسلاخ من رسالة محمد ﷺ نفسه. ومن الطبيعي أن تبدأ الرسالة عملها في بقعة ما من أرض الله) [١].

وعالمية الإسلام تظهر في الحج ؛ حيث مكة ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[٢] فهي أرض الله المحرمة ، إليها هاجر إبراهيم وفيها امتحن هو وإسماعيل ، وعليها بني البيت العتيق، ومنها تفجرت أنوار الهداية. وإنذار أم القري إنما هو بداية النور الذي ظهر بها ثم سطع وانتشر ليضيء للعالمين .

لا يزال الحج شاهداً على وحدة الدين وأخوة الأنبياء عليهم السلام ، رغم جحود أهل الكتاب وبعدهم عن هدي أبينا إبراهيم عليه السلام ، وكذلك العرب المنتسبين إليه ، وفي هذا حجة عليهم.

وتأتي السنة لتؤكد أخوة الأنبياء، وختم النبوات ، واكتمال البنيان برسالة سيدنا محمد ﷺ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، دِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَإِنَّ أَوْلَاهُمْ بِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ رَسُولٌ"[٣].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ"[٤].

دل هذا الحديث على أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعا ، ورسالة النبي محمد ﷺ هي الخاتمة لكل الرسالات ، فكانت شريعة دينه تامة وصالحة لكل زمان ومكان ، وتوحيد الله والدعوة إلى دينه أبرز معلم من معالم الرسالات جميعا ، ظهر بوضوح في مناسك الحج التي أقامها سيدنا

---

(١) الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر: محمد الغزالي ، ص ١٥٠، دار نهضة مصر .

(٢) سورة الشورى الآية ٧ .

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ١٥ ، ص١٥٣ ، ح٩٢٧٠ ، ط مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م = يقول الأستاذ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير عبد الرحمن بن آدم فمن رجال مسلم.

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺج ٤ ،ص ٢٢٦، ح ٣٥٣٥.

إبراهيم عليه السلام ، وجددها وأزال ما لحق بها من تحريفات سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. (فصاحب الدار هو الله سبحانه وتعالى ، والأنبياء برسالاتهم لبنات فيه والنبي ﷺ ودعوة الإسلام تمام هذا البناء وآخر اللبنات ، واللبنات كلها تتضافر في إعطاء البيت كماله الدقيق ، وجماله اللافت للعقول المدركة ، والحسن الجميل ، والإبداع الدقيق في تلاقي كل اللبنات في بناء واحد كامل وتام ، ونهاية الحسن والجمال يكون باللبنة الخاتمة في بناء الله العظيم الذي جعله الله دعوة النبي محمد ﷺ ، واتحاد الدعوات بهذه الصورة يظهر مدى الترابط بينها ، ولذلك لما تم الدين بالإسلام قال تعالى :﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[1].

فاستعمال لفظ الكمال والتمام يشيران إلى اشتمال الدين على مجموعة من الأجزاء إذا وجدت جميعا تحقق الكمال والتمام ، فكمال الدين يفيد تحقيق معانيه وذاته بلا نقص ، وتمام النعمة بفيد اجتماع الأجزاء كلها) [2].

ويدهش المرء وهو يري مظاهر العالمية من خلال ختم الرسالات وتوافقها ووجه المشابهة بين الدين الذي شُبه بالبيت وبين البيت الذي هو مقصد الحجيج ، وبين مجيء الأنبياء جميعا بعد إبراهيم عليه السلام لتأدية مناسك الحج وبين مجيء النبي صلى الله عليه وسلم وتتمة المناسك وإكمال الدين .

والطواف حول البيت يحمل معنيين؛ معني : اتباع هدي الأنبياء وانتظار النبي الخاتم ، ومعني الطواف حول البيت لأداء المناسك، فشعيرة الحج تتمة الأركان ، وفيها ومنها تنطلق العالمية الإسلامية.

مما سبق يظهر لنا :

(١) دين الأنبياء واحد وإن تعددت شرائعهم واختلفت أزمانهم وتباعدت أمكان دعوتهم.

(٢) تقرير الإسلام وتأكيده على بعض شرائع الأنبياء السابقين مثل الحج ووحدة المنسك والمقصد والمصدر لدى الأنبياء جميعا .

---

(١) سورة المائدة الآية ٣ .

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها في القرآن الكريم : د أحمد غلوش ، ص ١٤٢ ، ط مؤسسة الرسالة ٢٠٠٥ م.

(٣) اتفاق دعوة الإسلام مع دعوات الأنبياء السابقين ، قال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

(٤) تصحيح الانحرافات التي وقعت في شعيرة الحج تظهر هيمنة شريعة سيدنا محمد ﷺ على الشرائع السابقة وتشهد بعالمية الإسلام.

(٥) العالمية في الحج مترابطة الأوصال مترامية الأبعاد ، فالعالمية طولية تمتد عبر الزمن لتشمل حج الأنبياء ، وهي كذلك عالمية عرضية تمتد عبر المكان لتشمل حج الناس في سائر البقاع ، وهي عالمية باقية في عالم الغيب لتشمل الأزمنة الباقية والأجيال القادمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المطلب الرابع : أمن البيت الحرام

شرف الله البيت وجعله حرما آمنا ، فهو قبلة العبادة ومقصد الأنبياء عليهم السلام ، والأمن مطلب عالمي من خلاله يتعايش الناس ويضربون في الأرض ، والأمة شاهدة على الناس وقائمة على أمر الله وأمن العالم لن يتحقق إلا من خلال هذا الدين .

ولهذا كانت دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(٢).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣).

---

(١) سورة البقرة الآية ١٣٦.

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٦.

(٣) سورة إبراهيم الآيات ٣٥ –٣٧.

إن الأمن بجميع معانيه هو مطلب إبراهيم عليه السلام ، أمن من الخسف والمسخ ، أمن من الفقر والجوع ، أمن من الأعداء ، أمن من الدجال ، أمن من كل الآفات والشرور ، ومع هذا الأمن الذي يحقق مصالح الناس من خلال حرمة المكان جعل الله حرمة للزمان .

قال تعالى : ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

أراد الله سبحانه أن تكون الكعبة هى البيت الحرام ليحفظ على الناس قوام حياتهم، فجعله آمنا ببركة دعوة إبراهيم عليه السلام ، وأي مكان لا يتوفر فيه الأمن لا يهنأ الناس فيه بحياتهم ، وفي الجمع بين أمن المكان وأمن الزمان دلالة على هذه الأمل الذي يسعي إليه العقلاء من الناس وهو الأمن ، وفيه دليل على العالمية من خلال قوله " قياما للناس " ومن خلال الأمن الذي هو مطلب الناس أجمعين .

(ولما كان البيت الحرام في مكان مخصوص لا يدركه كل مظلوم ، ولا كل الناس ، ولا ينال حظه من الأمن فيه إلا من ارتحل إليه ، ولم يكن من الممكن أن يرتحل إليه جميع سكان المعمورة في وقت واحد ، لهذا جعل الأشهر الحرم ملجأ أمن عام ، تنشر على الناس وهم في أقاليمهم وأقطارهم ألوية الأمن والاطمئنان ، ويدخلون بها في هدنة الرحمن الرحيم ، فقرر كذلك حرمتها في القلوب ، فيها تسكن السيوف في أغمادها ، وتتجه القلوب إلى ربها ، وفيها يتضاعف الجزاء لمن أحسن أو أساء) [2].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ قَالَ: إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مَكَّةَ، فَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَلاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ بَعْدِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، لاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا، وَلاَ يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلاَ تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا، إِلاَّ لِمُعَرِّفٍ، وَقَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِلاَّ الإِذْخِرَ، لِصَاغَتِنَا وَقُبُورِنَا؟ فَقَالَ: إِلاَّ الإِذْخِرَ "[3]

([1]) سورة المائدة الآية ٩٧.

([2]) الإسلام عقيدة وشريعة : الإمام الأكبر الشيخ الدكتور : محمود شلتوت ص ١١٩، ط دار الشروق ، الطبعة الثامنة عشرة ١٤٣١هـ –٢٠٠١م .

([3]) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب من شهد الفتح ، ج٣ ، ص ١٨ ، ح١٨٣٣.

فمكة المكرمة منبع الإيمان ومصدر الأمان، فالذهاب لهذه البقاع هو طلب للسكينة والطمأنينة والأمن، وهى رسالة للعالمين تحمل في طياتها السلام من خلال الحج .

فالحج أمن نفسي يحقق السكينة والطمأنينة فلا خوف ولا قلق ، وأمن اجتماعي فلا عنصرية ولا طائفية ولا قبلية ، وأمن عام شامل يأمن فيه الفرد من الجميع ويأمنه الجميع .

﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [2].

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [3].

يقول ابن كثير :(فأثبت لهم الأمن حال الدخول، ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد لا يخافون من أحد) [4].

إن عالمية الخطاب تشهد بعالمية الإسلام وعموم رسالة النبي ﷺ ، والأمة مسئولة عن البلاغ والبيان .

(فالإنسان غير المسلم هو أحد أعضاء عالمية الخطاب القرآني ، ونحن – المسلمين – مسئولون عن بناء الجسور ومدها إليه ، تحقيقا لعالمية الخطاب ، التي لا تكون ولا تتحقق أقصى حدود تحققها بغير دعوته وخطابه ، فتصل الدعوة وحاملوها مستوى البلاغ ، ويكون بذلك الله عليهم شهيدا بتبليغها .

([1]) سورة القصص الآية ٥٧.

([2]) سورة العنكبوت الآية ٦٧.

([3]) سورة الفتح الآية ٢٧.

([4]) تفسير ابن كثير ج ٤ ، ص٢٤٣ .

أما الجن فهم مكتفون بوصول ما يكون من خطابنا ،نحن بني آدم فيما بيننا ،بتحقق سماعهم من غير مسؤولية على البشر في إسماعهم ، فقوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾) [١] .

(ومما لا يقره الإسلام لدعاته ، ولم يوافق عليه ؛ بل لم يجوزه ، أن ينحصر خطابهم فيما بينهم ، ولا يتعدى الأمة إلى غيرها من الأمم من أهل الديانات والملل ، بله أن يقتصر على أهل الصفوة من أهل التدين فيهم .

ذلك أن دعوة الإسلام تتوجه للعالمين ، بحق مطلق لا يحصره زمان ولا مكان ، بل يسري خطابه لكل قرن وأمة في التاريخ ، وكل قرية وقوم وملة على وجه الأرض)[٢] .

فالمخاطبون هم الناس ، وهم العالمون ؛ الإنس والجن ، المؤمن والكافر ، فالخطاب جاء في صيغ العموم وتشمل جميع الناس الذين توجه إليهم الدعوة جميعا.
مما سبق يظهر لنا :

١- الخطاب القرآني والبيان النبوي عن الحج آتيا بصيغة العموم .

٢- تنوع الخطاب القرآني في الحديث عن الحج بألفاظ مثل : الناس ، والعالمين ، وكلها تدل على العموم .

٣- في ذكر لفظي " الناس" " العالمين "دعوة إلى المشاركة في الحج ، وهي لا تتم إلا بعد الدخول في الإسلام ، والاستسلام لله رب العالمين .

٤- في ذكر لفظ " الناس " تذكير بمصدر النشأة للإنسان ، كما أنه يحمل من معنى اسم الرب الكثير؛ فهو المنعم بالإيجاد والخلق ، والمتكفل بالرزق ، والهادي للخلق ، وجميع الناس متساوون ، فعالمية الهداية تقتضي ذكر لفظ الناس .

([١])عالمية الخطاب القرآني في المسبحات الخمس: د. مصطفي جابر العلواني ص ٧٣ ، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي . الآية ١ من سورة الجن .

([٢]) من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق : عبد الله الزبير عبد الرحمن ص ٦٥ ، ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – سلسلة كتاب الأمة – العدد ٦٥ ، الطبعة الأولي ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ م .

٥- لفظ " الناس " يشير إلى البعد الزماني فهو يخاطب الأجيال الماضية والحاضرة والآتية بعد، وهذا معنى من معاني العالمية في الخطاب ، ويشير إلى البعد المكاني فهو خطاب لجميع الناس في كل الأمكنة .

٦- لفظ " الناس " يحمل في معناه مبدأ المساواة ، فالكل يشمله الخطاب ، لا فرق بين واحد وآخر ، الكل سواسية ، وهذا معنى آخر من معاني العالمية في لفظ " الناس ".

٧- تذكير الناس بهداية البيت للعالمين وكونه أمنا لهم ، دعوة إلى الاستجابة لتلك الهداية والعيش في هذا الأمن.

٨- هداية العالمين وإبلاغهم فريضة واجبة على الأمة لتقوم حجة الله على خلقة من خلال تبليغ وحيه ومن كفر فالله غني عن العالمين .

٩- البيت الحرام أول بناء تعبد الله به عباده في الأرض ، وأن بعض الأنبياء قد حج البيت لكن على هيئة وكيفية غير معلومة .

١٠- حرمة البيت ثابتة منذ خلق الله السموات والأرض ففي الحديث : " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ يَوْمَ الفَتْحِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحَرَامِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَلَمْ تَحْلِلْ لِي قَطُّ إِلَّا سَاعَةً مِنَ الدَّهْرِ "(١).

(١) صحيح البخاري ، باب من شهد الفتح ح٥ ، ص ١٩٤ ،ح ٤٣١٣.

المبحث الثاني: عالمية الإسلام من خلال شعائر الحج

المطلب الاول : شعائر الحج

(الشعائر أعلام الحج وأفعاله الواحدة شعيرة أو شعارة بالكسر. والمشاعر مواضع المناسك. والمشعر الحرام جبل بآخر مزدلفة) [١].

تتجلي العالمية في كل شعيرة من شعائر الحج ، وفي كل موقف ، وفي كل ذكر ، يظهر ذلك من خلال الآتي :

أولا : الإحرام

إن ضبط الحواس هو أول علامات مفارقة الإنسان لوضعه ككائن طبيعي يستجيب لغرائزه وأهوائه إلى وضعه الملائكي المتجرد من الزينة والشهوات ويتدثر الحاج بلباس الإحرام الذي هو لباس التقوي .

(كانت العرب تضرب الحمى لمراعيها ، أي تجعل لها حدودا لا تتعداها القبائل الأخرى ، وكان العزيز منهم يتخذ له متسعاً من الأرض يجعله حمى له ، إلى ان جاء الإسلام فأبطل كل حمى إلا حمى الله ، وجعل لبيته (أي الكعبة) حرما ومواقيت لا يتعداها من يريد الدخول إلى الحرم إلا إذا كان على وصف معين) [٢].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: وَقَّتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ، ذَا الْحُلَيْفَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةَ، وَلِأَهْلِ نَجْدٍ، قَرْنَ الْمَنَازِلِ، وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ، يَلَمْلَمَ، قَالَ: فَهُنَّ لَهُنَّ، وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ، مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، فَمَنْ كَانَ دُونَهُنَّ فَمِنْ أَهْلِهِ، وَكَذَا فَكَذَلِكَ، حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ يُهِلُّونَ مِنْهَا" [٣].

عَنْ جَابِرٍ رضى الله عنهٍ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: « مُهَلُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَمُهَلُّ أَهْلِ الشَّامِ، مِنَ الْجُحْفَةِ، وَمُهَلُّ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ يَلَمْلَمَ، وَمُهَلُّ أَهْلِ

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن علي الفيومي ج١ ، ص ٣١٥ ، ط المكتبة العلمية ، بيروت .

(٢) روح الدين الإسلامي : عفيف عبد الفتاح طبارة ص ٢٦١ ، ط دار العلم للملايين – بيروت –الطبعة الثامنة والعشرون ١٩٩٣ م.

(٣) صحيح مسلم باب مواقيت الحج والعمرة ، ج ٢ ، ص٨٣٨ ، ح ١١٨١.

نَجْدٍ، مِنْ قَرْنٍ، وَمُهَلُّ أَهْلِ الْمَشْرِقِ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ» ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ لِلْأُفُقِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَقْبِلْ بِقُلُوبِهِمْ»[١]

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَقَّتَ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ ذَاتَ عِرْقٍ»[٢].

(إن هذه الأحاديث غنية بالدلالات والمعاني والمقاصد ،فالمواقيت بهذا الشكل تبرز لنا عظمة الإسلام وشموليته ، فهو يعم جميع جهات الكون : شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً بالنسبة لبيت الله الحرام وبيته العتيق ، فالإسلام لم يترك أي جهة من العالم دون أن يوقت لها مكان إحرامها ، وهذا يدل علي عالمية الإسلام وصلاحيته لكل زمان وكل مكان وللكون كله إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها) [٣].

وفي مواقيت الحج دلالة واضحة على عالمية الإسلام حيث كل الحجاج والمعتمرين لهم مواقيت يحرمون منها ، وهذه المواقيت تشمل كل الجهات .

وفي لباس الإحرام تظهر العالمية حيث : المساواة ، واتحاد النداء رغم اختلاف اللغات ، ووحدة المقصد .

(والتلبية للحج مثل تكبيرة الإحرام للصلاة ، فالتلبية إيذان بالدخول في الحج وقبول المحرم طائعا مختارا ما حرمه الله من أطايب الدنيا: ملبسا وعطرا ونساء ، وبعدا عن الشهوات وما يوحي بالعظمة المادية ، فعندما يلبسون ملابس الإحرام قطعتين من نسيج أبيض : إحداهما غطاء نصف الجسد الأعلى إلى الرقبة ، والأخرى غطاء نصفه الأسفل يتساوى الجميع: الملوك والسوقة، والأغنياء والفقراء ، ويظهرون بمظهر الوحدة ، فلا أزياء بعضها يختلف عن بعض ، ويعودون مع وحدة المظهر إلى وحدة النسب ، ويتعاطفون تعاطف الأبناء من أب واحد ، وتختفي فوارق الأزياء والأجناس والأوطان والعادات واللغات ؛ لأنهم جميعا يقولون بلسان واحد : لبيك) [٤].

---

(١) سنن ابن ماجة ج٢ ، ص ٩٧٢ ،ح ٢٩١٥. ت : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء الكتب العربية ، وقال الألباني حديث صحيح .

(٢) سنن أبي داود ، باب في المواقيت ج٣ ، ص ١٦١ ، ح ١٧٣٩ .

(٣) ثقافة الحاج : د . مصطفى لعزوزي ص ٤١، ط دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولي ١٤٣٧هـ – ٢٠٠٦.

(٤) حجة النبي ﷺ وأحكام الحج والعمرة والحج في الإسلام والزيارات الآخرة : أحمد عبد الغفور عطارص٢٨١، ٢٨٢ ، مطبعة الإحسان بدمشق ، الطبعة الأولي ١٣٩٦ هـ –١٩٧٦م .

وذوبان الفوارق في ظل الوحدة ووجود الاختلاف حال الاجتماع دليل عالمية الإسلام من خلال شعائر الحج .

والإحرام يذكر الناس بالمصير الذي ينتظرهم جميعا والذي يعم جميع الناس ، ولا بد من العبرة والاعتبار.

يقول حجة الإسلام الغزالي[١] : (أما شراء ثوبي الإحرام فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فإنه فيه سيرتديه ويتزر بثوبي الإحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عاداته في الزي والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما في الكفن) [٢]

ولما كان الموت مصير العالمين فهو يحمل في دلالته عالمية من خلال الإحرام الذي يرتديه الحاج .

ثانيا : الطواف

إن الطواف حول الكعبة تشبه بالملائكة الحافين بعرش الله تعالى ، والمسلمون في صلاتهم يتوجهون شطر البيت الحرام خمس مرات كل يوم على الأقل .

(ورغم أن الكعبة ليس لها اتجاه– فهي مكعبة الشكل – فأنت حين تستقبلها في صلاتك تكون قد اخترت التوجه إلى الله ، وتستقبل وجهه الكريم .

---

(١) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتى مصنف. ولد سنة ٤٥٠هـ سنة في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف وتوفي بالطابران سنة ٥٠٥ هـ .
من كتبه : إحياء علوم الدين ، و تهافت الفلاسفة ، الاقتصاد في الاعتقاد ، معارج القدس في أحوال النفس ، و المنقذ من الضلال ، بداية الهداية ، فضائح الباطنية . انظر : الأعلام ج٧ ، ص ٢٢ .

(٢) إحياء علوم الدين : حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ج ١ ، ص ٢٦٨ دار المعرفة ، بيروت .

إن خلو الكعبة من أي اتجاه قد يبدو صعباً على الأفهام ، لكن الكونية النهائية ينبثقان من تلك المسألة نفسها ؛ فالمكعب هو الشكل الوحيد الذي يحتوي على ستة جوانب وفي نفس الوقت لا اتجاه له .

الكعبة هي الأصل الذي يرمز لذلك :﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[١] . في أي مكان خارج الكعبة تصلي فيه يجب أن تستقبلها ...كل بناء غير الكعبة له اتجاه : شمال أو جنوب .شرق أو غرب ..فوق أو تحت والكعبة استثناء ؛ إنها تستقبل كل الوجهات دون أن تقتصر على واحد منها) [٢].

فالكعبة المشرفة هي قبلة الجهات يطوف حولها الحجاج ، ويتجه إليها المصلون ، وهى إزاء البيت المعمور في السماء السابعة الذي تطوف حوله الملائكة .

والمسلم في طوافه يطوف في اتجاه العبودية لله ، وتشاركه خلاياه في هذه العبادة .

(فهو يطوف كما يطوف الكون كله في اتجاه واحد ، هو اتجاه التوحيد والعبودية لله رب العالمين ، من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة في الوجود ، فقد أعلن في بعض المؤتمرات أن الحيوان المنوي يطوف حول البويضة سبعة أشواط قبل أن تتم عملية التلقيح ، وكأن هذا الكائن المنوي يعلن التوحيد قبل خلقه جنيناً لكي يخرج بهذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها . وهكذا يشعر المسلم أن كل خلاياه تشاركه عبادة الطواف حول الكعبة تماماً على صورة الكون كله بكافة مخلوقاته التي تسبح خالقها ، قال تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[٣] فيدرك أنه لا ينبغي أن يعاكس هذا الاتجاه أو أن يختار اتجاها آخر غير هذا الاتجاه الكوني نحو الخالق)[٤].

ثالثا: الوقوف بعرفة

(السر في الوقوف بعرفة أن اجتماع المسلمين في زمان واحد ومكان واحد راغبين في رحمة الله تعالى داعين له متضرعين إليه له تأثير عظيم في نزول البركات وانتشار الروحانية، ولذلك كان الشيطان يومئذ أدحر وأحقر ما يكون، وأيضا فاجتماعهم ذلك تحقيق لمعنى العرضة وخصوص

---

(١) سورة البقرة الآية ١١٥.

(٢) الفريضة الخامسة : د علي شريعتي ص ٤٨ ، ط دار الأسماء– القاهرة –الطبعة الثانية ١٤١٣-١٩٩٢م.

(٣) سورة الجمعة الآية ١.

(٤) ثقافة الحاج ص ٤٩ .

هذا اليوم. وهذا المكان متوارث عن الأنبياء عليهم السلام على ما يذكر في الأخبار عن آدم فمن بعده، والأخذ بما جرت به سنة السلف الصالح أصل أصيل في باب التوقيت) [١].

والوقوف بعرفة يشكل رمزا للوحدة وللمساواة في كل شيء، تلك المساواة التي لم تحظَ بها البشرية طوال تاريخها ، يقتفي الحجيج آثار الأنبياء ويتذكرون مشاهد القيامة من خلال هذا الركن .

والرسالات السماوية في عصورها المختلفة وشرائعها المتنوعة جاءت محددة ، كل رسالة جاءت إلى قوم بعينهم ، حتي كمل الدين وختمت الرسالات برسالته ﷺ العالمية التي تخاطب فطرة الإنسان ، وكان هذا الكمال والتمام في يوم عرفة .

قال تعالى:﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [٢].

وفي صحيح مسلم عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ[٣] ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَؤُونَهَا ، لَوْ عَلَيْنَا نَزَلَتْ ، مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا ، قَالَ : وَأَيُّ آيَةٍ ؟ قَالَ : {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي لأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ ، نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَفَاتٍ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ "[٤].

(وقال النووي: معناه: أنا ما تركنا تعظيم ذلك اليوم والمكان، أما المكان فهو عرفات، وهو معظم الحج الذي هو أحد أركان الإسلام، وأما الزمان فهو يوم الجمعة ويوم عرفة. وهو يوم اجتمع فيه فضلان وشرفان، ومعلوم تعظيمنا لكل واحد منهما، فإذا اجتمعا زاد التعظيم، فقد اتخذنا ذلك اليوم

---

(١) حجة الله البالغة : ولي الله الدهلوي ، ج ٢ ، ص ٩٢ ، ت: السيد سابق ، ط دار الجيل– بيروت – الطبعة الأولى١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م .

(٢) سورة المائدة الآية ٣.

(٣) طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سلمة بن هلال بن عوف بن جشم بن عمرو بن لؤيّ بن رهم بن معاوية بن أسلم بن أحمس البجليّ الأحمسيّ، أبو عبد اللَّه ، وهوصحابي على الراجح ، مات سنة اثنتين وثمانين أو ثلاث أو أربع. انظر :الإصابة ج٣ ، ص ٤١٣ .

(٤) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ص ٤٨.

عيدا، وعظمنا مكانه أيضا، وهذا كان في حجة الوداع، وعاش النبي، عليه السلام، بعدها ثلاثة أشهر)[1].

يقول ابن القيم :(تأمل كيف وصف الدين الذي اختاره لهم بالكمال، والنعمة التي أسبغها عليهم بالتمام إيذانا في الدين بأنه لا نقص فيه ولا عيب ولا خلل، ولا شيء خارجا عن الحكمة بوجه، بل هو الكامل في حسنه وجلالته ووصف النعمة بالتمام إيذانا بدوامها واتصالها، وأنه لا يسلبهم إياها بعد إذ أعطاهموها بل يتمها لهم بالدوام في هذا الدار وفي دار القرار.

وتأمل حسن اقتران التمام بالنعمة وحسن اقتران الكمال بالدين، وإضافة الدين إليهم، إذ هم القائمون به المقيمون له. وأضاف النعمة إليه إذ هو وليها ومسديها والمنعم بها عليهم، فهي نعمة حقا، وهم قابلوها.

وأتى في الكمال باللام المؤذنة بالاختصاص، وأنه شيء خصوا به دون الأمم.

وفي إتمام النعمة بعلى المؤذنة بالاستعلاء والاشتمال والإحاطة فجاء «أتممت» في مقابلة أَكْمَلْتُ و «عليكم» في مقابلة لَكُمْ و «نعمتي» في مقابلة دِينِكُمْ وأكد ذلك وزاده تقريرا وكمالا وإتماما للنعمة بقوله "وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً") [2].

مما سبق يمكن القول : بأن إكمال الدين يستوجب ختم النبوات فلا رسولَ بعد محمد صلى الله عليه وسلم، ولا شريعة غير شريعته ، وهذا يستوجب عموم رسالته وعالمية دعوته.

وختم النبوة يغلق باب الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل في الدين ، وهو دليل عالمية الإسلام .

رابعاً: النحر والحلق

نسك النحر هو إشارة إلي التضحية من أجل الله ، وهو اقتداء بأبينا إبراهيم عليه السلام ، ومن معانيه ذبح الهوى (والسر في الهدى التشبه بفعل سيدنا إبراهيم عليه السلام فيما قصد من ذبح

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : بدر الدين العينى ج ١ ، ص ٢٦٤ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : ابن قيم الجوزية ج ١ ، ص ٣٠٢ . ،ط : دار الكتب العلمية – بيروت .

ولده في ذلك المكان طاعة لربه وتوجها إليه، والتذكر لنعمة الله به وبأبيهم إسماعيل عليه السلام وفعل مثل هذا الفعل في هذا الوقت، والزمان ينبه النفس أي تنبه.

إنما وجب على المتمتع والقارن شكرا لنعمة الله حيث وضع عنهم إصر الجاهلية في تلك المسألة.

والسر في الحلق أنه تعيين طريق للخروج من الإحرام بفعل لا ينافي الوقار، فلو تركهم وأنفسهم لذهب كل مذهبا، وأيضا ففيه تحقيق انقضاء التشعث والتغبر بالوجه الأتم، ومثله كمثل السلام من الصلاة، وإنما قدم على طواف الإفاضة ليكون شبيها بحال الداخل على الملوك في مؤاخذته نفسه بإزالة تشعثه وغباره) [1].

رمي الجمار

شعيرة رمي الجمرات مظهر من مظاهر عالمية الإسلام حيث الاستسلام والانقياد لله ، والاقتداء بإبراهيم عليه السلام .

ففي رمي الجمار تجديد لفطرة الإنسان وإزالة ما علق بها من شوائب فالاستسلام والانقياد لأوامر الله حتي ولو لم يقف المسلم على الحكمة من هذا الرمي ، وهو بذلك يعلن مع كل حصاه يرميها أن الله أكبر .

كل ما حصل للشيطان من اللعن والطرد والإغواء والعذاب بسبب آدم وذريته فأعلنها حرباً عليه وعلى ذريته.

فالشيطان مفتاح كل شر يقود معركة لا تهدأ ولا تنقضي يفتن الإنسان ويزين له المنكرات ، لهذا حذر الله الناس منه وفي السورة نفسها ما يوضح ذلك

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ﴾ [2].

والله تعالى بين لخلقه عداوة الشيطان وأمرهم باتخاذه عدوا حتي ينجوا من تزيينه وتلبيسه .

---

(١) حجة الله البالغة ج ٢ ، ص ٩٤.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٧ .

قال تعالى:﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[1]

وفي رمي الجمار اقتداء بإبراهيم عليه السلام وتجديد العهد مع الله لمحاربة الشيطان والوقوف في وجهه وعدم اتباع خطواته .

(فالظاهر أن رمي إبراهيم عليه السلام للشيطان لم يكن لأن الرمي من المناسك ولكنه بعد أن أفاض من عزمه أمره الله عز وجل أن يرمي تلك المواضع التي تراءي له الشيطان فيها أولاً تذكار لنعمة الله عز وجل بتسليطه على الشيطان وإعاذته منه.

وصار ذلك من المناسك شكراً لذلك وتعليماً للناس أنه إذا وسوس لهم الشيطان فى طريقهم لله عز وجل زجروه ، وأخسئوه ، وطردوه ، واستعانوا الله تعالى عليه ، ووعدهم بأنهم إذا فعلوا ذلك أعاذهم الله تعالى) [2].

فالمسلم في رمي الجمار يمتثل أمر الله وينقاد لتعاليمه ، ويرجم مواقف الشيطان التي وقف فيها لسيدنا إبراهيم عليه السلام .

وأوقات الحج وأماكنه فيها إعلان للذكر ولجوء إلى الله واستعاذة به من الشيطان ، ويحمل رمى الجمار معنى من مظاهر عالمية الإسلام وإظهار العداوة الأبدية بين بني آدم والشيطان.

مما سبق تظهر عالمية الإسلام من خلال شعائر الحج من وجوه عدة أهمها :

١- إظهار الرق والعبودية لله رب العالمين حتي ولو خفيت الحكمة والناس جميعا مطالبون بتحقيق العبودية " قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [3] .
٢- تجديد الفطرة من خلال البراءة من الشرك والمعاصي وإتباع هدي أبي الأنبياء وإمام الحنفاء سيدنا إبراهيم عليه السلام .

---

(١) سورة فاطر الآية ٦.

(٢) أثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليمانى : تأليف مجموعة من الباحثين بإشراف : على بن محمد العمران ج ٨ ، ص ٨١ ، ط دار الفوائد – الرياض– ١٤٣٤.

(٣) سورة البقرة الآية ٢١.

قال تعالى مخاطباً نبينا محمد ﷺ:﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١) .

٣- إغاظة الشيطان وإظهار عداوته والحذر منه ومن وساوسه وحبائله ، فهو عدو آدم وذريته ، وعداوته باقية إلى يوم القيامة .

٤- ذكر الله هو صمام الأمان من الوقوع فى شرك الشيطان ، وهو ذكر لا ينفك عنه المسلم في كل العبادات لاسيما في أيام منى وخصوصاً عند رمي الجمرات، قال تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ (٢) .

المطلب الثاني : التيسير في شعائر الحج وأحكامه

أولا : معني التيسير والحاجة إليه

(اليسر: اللين والانقياد يكون ذلك للإنسان والفرس، وقد يسر ييسر. وياسره: لاينه.. ياسره أي ساهله. وفي الحديث: " إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ "(٣).؛ اليسر ضد العسر، أراد أنه سهل سمح قليل التشديد)(٤).

وبهذا يتبين لنا أن أصل الكلمة تحمل معاني : اللين والانقياد والسهولة ، ولما كان التيسير فيه طلب لليسر كانت الكلمة تحمل في معانيها السماحة ، ورفع الحرج والمشقة .

فالإسلام دين الله لعباده يقوم على التيسير والتخفيف، وليس على التعسير والتشديد.

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (٥).

فهذه قاعدة أساسية في جميع تكاليف الإسلام تشهد لهذا الدين باليسر ، وتراعي الضعف الإنساني ؛ فخفف الله عن المسلم التكاليف ورفع عنه الحرج ؛ قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ (٦) ، ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٧) .

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٣.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٣.

(٣) قال الأستاذ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط البخاري ، وقال الألباني : حديث صحيح . انظر :صحيح ابن حبان ج ٢ ، ص ٦٣ ، ح ٣٥١ ت : شعيب الأرناؤوط ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣م .

(٤) لسان العرب ج٥ ، ص ٢٩٥ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ١٨٥.

(٦) سورة النساء الآية ٢٨.

(٧) سورة الحج الآية ٧٨.

وقال سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [1].

ففي الآيات دليل على رفع الحرج وإرادة التكليف وإتمام النعمة ، وعليه فلا تكليف إلا على قدر الطاقة ووسعها .

قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[2].

فجاءت أحكام الإسلام عامة سهلة ميسورة لا مشقة ولا عسر فيها حتى لا ينقطع المكلف عن العبادة أو يقصر فيها .

يقول الإمام الشاطبي[3] : (إن الحرج مرفوع عن المكلف لوجهين :

أحدهما: الخوف من الانقطاع من الطريق وبغض العبادة وكراهة التكليف وينتظم تحت هذا المعنى الخوف من إدخال الفساد عليه في جسمه أو عقله أو ماله أو حاله.

والثاني: خوف التقصير عند مزاحمة الوظائف المتعلقة بالعبد المختلفة الأنواع مثل قيامه على أهله وولده إلى تكاليف أخر تأتي في الطريق ، فربما كان التوغل في بعض الأعمال شاغلا عنها وقاطعا بالمكلف دونها ، وربما أراد الحمل للطرفين على المبالغة في الاستقصاء فانقطع عنهما)[4] .

وعبادة الحج شأنها شان سائر العبادات ، غير أنها لخصائص اختصت بها من حيث كونها عبادة بدنية ومالية يشترط لها الاستطاعة ، ولها مواقيت زمانية معلومة ومواقيت مكانية محددة جاء التيسير لرفع الحرج والمشقة عن جميع الناس .

ثانيا: مظاهر التيسير في الحج

---

(1) سورة المائدة الآية ٦.

(2) سورة البقرة الآية: ٢٨٦.

(3) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ من أهل غرناطة كان من أئمة المالكية ، توفي في شعبان سنة ٧٩٠ هـ . من كتبه : الموافقات في أصول الفقه ، المجالس ، الاتفاق في علم الاشتقاق ، أصول النحو، الاعتصام وغيرها من المؤلفات . انظر : الأعلام ج١ ، ص ٧٥ .

(4) الموافقات في أصول الفقه : إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ج ٢ ، ص ١٣٦ ، تحقيق: د . عبد الله دراز ، ط دار المعرفة ، بيروت .

[١] فرض مرة في العمر على المستطيع

الحج أحد أركان الإسلام الخمسة ، أداؤه يتوقف على شرط الاستطاعة المالية والبدنية وأمْن الطريق .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ "، ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ "[١] .

يقول النووي في قوله ﷺ: "إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم" : (هذا من قواعد الإسلام المهمة ، ومن جوامع الكلم التي أعطيها صلى الله عليه وسلم ، ويدخل فيها ما لا يحصى من الأحكام كالصلاة بأنواعها ، فإذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقي، وإذا عجز عن بعض أعضاء الوضوء أو الغسل غسل الممكن ، وإذا وجد بعض ما يكفيه من الماء لطهارته أو لغسل النجاسة فعل الممكن ، وإذا وجبت إزالة منكرات أو فطرة جماعة من تلزمه نفقتهم أو نحو ذلك وأمكنه البعض فعل الممكن وإذا وجد ما يستر بعض عورته أو حفظ بعض الفاتحة أتى بالممكن وأشباه هذا غير منحصرة وهي مشهورة في كتب الفقه والمقصود التنبيه على أصل ذلك)[٢].

[٢] النيابة في الحج

قد لا يستطيع الإنسان أداء مناسك الحج لعجزه عن إتيان البيت ، أو موته ، فيسر الإسلام أمر الحج ، فأجاز أن يحج المرء عن غيره بشرطين :

الأول : أن يكون قد حج عن نفسه حجة الإسلام .

الثاني : أن يكون من يحج عنه غير قادر على أداء المناسك ؛إما لمرضه المزمن ، أو لموته .

([١]) صحيح مسلم كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر ج ٢ ، ص ٩٧٥ ، ح ١٣٣٧.

([٢]) شرح النووي ج ٩ ، ص ١٠٢.

ففي الحديث : "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ الْفَضْلِ، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ خَثْعَمَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ، عَلَيْهِ فَرِيضَةُ اللهِ فِي الْحَجِّ، وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَحُجِّي عَنْهُ " (١) .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ، قَالَ: مَنْ شُبْرُمَةُ؟ قَالَ: أَخٌ لِي – أَوْ قَرِيبٌ لِي – قَالَ: حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ " (٢).

(ويجوز الحج بالنيابة للذكر عن الأنثى والأنثى عن الذكر ، والأصول عن الفروع ، والفروع عن الأصول ، والقريب عن البعيد ، والبعيد عن القريب ، سواء أكان الحج مقابل أجر أم كان احتسابا بدون اجر) (٣).

والنيابة في الحج فيها من التيسير ما يجعل البر يتواصل بين الأحياء والأموات ، حيث إن بعض الناس يموتون دون تأدية هذه الفريضة فيأتي أقرباؤهم فيحجون عنهم.

[٣] الترتيب في أعمال الحج يوم النحر

تتزاحم أعمال الحج يوم النحر بين الرمي والحلق والنحر وطواف الإفاضة ، فكان رفع الحرج عن التقديم والتأخير

ففي الحديث :عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: وَقَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، بِمِنًى ، لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ أَشْعُرْ، فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحَرَ، فَقَالَ: اذْبَحْ وَلَا حَرَجَ ، ثُمَّ جَاءَهُ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ، فَقَالَ: ارْمِ وَلَا حَرَجَ قَالَ: فَمَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلَا أُخِّرَ، إِلَّا قَالَ: افْعَلْ وَلَا حَرَجَ " (٤).

(إن وظائف يوم النحر بالاتفاق أربعة أشياء رمي جمرة العقبة، ثم نحر الهدي أو ذبحه ، ثم الحلق أو التقصير، ثم طواف الإفاضة .

وقد أجمع العلماء على مطلوبية هذا الترتيب واختلفوا في جواز تقديم بعضها على بعض فأجمعوا على الإجزاء في ذلك ، إلا أنهم اختلفوا في وجوب الدم في بعض المواضع، والظاهر جواز تقديم بعضها على بعض وعدم وجوب الدم، فإن قوله صلى الله عليه وسلم "لا حرج" ظاهر في رفع

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما، أو للموت ج٢ ، ص ٩٧٤، ح ١٣٣٥.

(٢) سنن أبي داود ، كتاب المناسك، باب الرجل يحج عن غيره، ج ٣، ص ٢١٨، ح ١٨١١.

(٣) حجة النبي ﷺ وأحكام الحج والعمرة والحج فى الإسلام والزيارات الآخرة : احمد عبد الغفور عطار ص ٢٧٣ ، مطبعة الإحسان بدمشق ، الطبعة الأولي ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦.

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب من حلق قبل النحر، أو نحر قبل الرمي ج ٢ ، ٩٤٨ ، ح ١٣٠٦.

الإثم والفدية معا؛ لأن اسم الضيق يشملهما وهو مذهب الشافعي وجمهور السلف والعلماء وفقهاء أصحاب الحديث)[1].

وبهذا يظهر مبدأ التيسير والمرونة في عبادة الحج ، فقوله : افعل ولا حرج ، وذروني ما تركتكم ، فيها دلالات واضحة على عالمية الإسلام الذي هو دين اليسر ورفع الحرج.

(إن النبي ﷺ بعث بجوامع الكلم ، ألفاظا محدودة تحمل معان واسعة ؛ لأنها مركزة تركيزاً يدل على حكمة واضعها ، وعلى الغرض الذي من أجله صيغت بهذا الشكل لتكون صالحة لكل زمان تجد فيه حوادث ومشاكل ، ولكل بيئة لها ظروفها وعرفها الذي يناسبه نوع خاص من فروع التشريع) [2].

[٤] التوسعة في أماكن النسك

المسلم يقتدي بنبيه ﷺ ، ونظرا لعالمية هذا الدين وتيسيرا على الناس بيَّن النبي ﷺ أن مكان النحر منى كلها ، وأن عرفة موقف كلها ، وأن المزدلفة موقف كلها .

عَنْ جَابِرٍ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: نَحَرْتُ هَاهُنَا، وَمِنًى كُلُّهَا مَنْحَرٌ، فَانْحَرُوا فِي رِحَالِكُمْ، وَوَقَفْتُ هَاهُنَا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ، وَوَقَفْتُ هَاهُنَا، وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ»[3]

يقول النووي :(في هذه الألفاظ بيان رفق النبي ﷺ بأمته وشفقته عليهم في تنبيههم على مصالح دينهم ودنياهم ، فإنه صلى الله عليه وسلم ذكر لهم الأكمل والجائز، فالأكمل موضع نحره ووقوفه ، والجائز كل جزء من أجزاء المنحر وجزء من أجزاء عرفات وخيرهن أجزاء المزدلفة وهي جمع بفتح الجيم وإسكان الميم .... وأما عرفات فحدها ما جاوز وادي عرنة إلى الجبال القابلة مما يلي بساتين ابن عامر هكذا نص عليه الشافعي وجميع أصحابه) [4].

والمقصود بالرحال منازلهم في منى :(وأما قوله صلى الله عليه وسلم ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم فالمراد بالرحال المنازل قال أهل اللغة رحل الرجل منزله سواء كان من حجر أو مدر

---

(1) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى ج ٣ ،ص ٣٦٧ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت.

(2) الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه : الشيخ عطية صقر ، ص ١٥.

(3) (وجمع كلها موقف) أنث الضمير لأن جمعا علم لمزدلفة انظر : صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب ما جاء أن عرفة كلها موقف ، ج ٢ ، ص ٨٩٣ ، ح ١٢١٨.

(4) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج٨ ، ١٩٥.

أو شعر أو وبر ومعنى الحديث منى كلها منحر يجوز النحر فيها فلا تتكلفوا النحر في موضع نحري بل يجوز لكم النحر في منازلكم من منى) [١] .

[٥] الجمع بين صلاتي الظهر والعصر بعرفة والمغرب والعشاء بمزدلفة

من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة أنه جمع بين الظهر والعصر وقصر فيهما دون أن يفصل بينهما ، كما جمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة .

ففي صحيح مسلم عن يوم عرفة " ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا"[٢].

وعن أبي أيُّوبَ الأنْصَارِيُّ أنَّ رسولَ الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم جمعَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ المَغْرِبَ والْعِشَاءَ بِالمُزْدَلِفةِ " [٣].

[٦] تقديم وقت رمي الجمار والوكالة فيه لأصحاب الأعذار

ومن التيسير في مناسك الحج تقديم وقت رمي جمرة العقبة الكبرى والوكالة في الرمي لأهل الأعذار والضعفاء.

ففي صحيح البخاري : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُقَدِّمُ ضَعَفَةَ أَهْلِهِ، فَيَقِفُونَ عِنْدَ المَشْعَرِ الحَرَامِ بِالْمُزْدَلِفَةِ بِلَيْلٍ فَيَذْكُرُونَ اللَّهَ مَا بَدَا لَهُمْ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ قَبْلَ أَنْ يَقِفَ الإِمَامُ وَقَبْلَ أَنْ يَدْفَعَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدَمُ مِنًى لِصَلاَةِ الفَجْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدَمُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِذَا قَدِمُوا رَمَوْا الجَمْرَةَ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: أَرْخَصَ فِي أُولَئِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " [٤].

يقول ابن تيمية[٥] :(من عجز عن الرمي بنفسه لمرض أو نحوه فإنه يستنيب من يرمي عنه ولا شيء عليه ، وليس من ترك الواجب للعجز كمن تركه لغير ذلك والله أعلم) [١].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج٨ ،١٩٦ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ج ٢ ، ص ٨٩٠ ، ح ١٢١٨

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ج ٢ ، ص ٩٣٧ ،ح ١٢٨٧.

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب من قدم ضعفة أهله بليل، فيقفون بالمزدلفة ج ٢ ، ص ٢٠٢،ح ١٦٧٦ .

(٥) هو شيخ الإسلام وحافظ الدنيا المجتهد في الأحكام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي، ولد بحران يوم الاثنين ١٠/ ٣ / ٦٦١هـ، وتوفي –رحمه الله– ليلة الاثنين ٢٠ من ذي القعدة ٧٢٨هـ .من تصنيفاته التي تبلغ ثلاثمائة تصنيف: تعارض العقل والنقل ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، وشرح عقيدة الأصفهاني ، والصارم المسلول على من سب الرسول، وإصلاح الراعي والرعية ، وكتاب في الرد على تأسيس التقديس ، الفرقان ، منهاج السنة النبوية ، الاستقامة .... وغير ذلك. انظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص١٤، والبداية والنهاية ج ١٤ص ١٣٥، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين : أبو البركات خير الدين نعمان بن محمود بن عبد الله، ، الآلوسي (المتوفى: ١٣١٧هـ) ص ١٩ ، ط مطبعة المدني: ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

[٧] سوق الهدي

من مظاهر التيسير في الحج ورفع الحرج : ذبح الهدي الذي قد يكون نسكاً يتقرب العبد به لربه ويوسع على نفسه وغيره ، وقد يكون كفارة لترك واجب أو فعل محظور وهو بمثابة جبر لترك الواجب أو فعل المحظور .

(أجمع العلماء على أن الهدي المسوق في هذه العبادة منه واجب، ومنه تطوع.

١ – الهدي الواجب: وهو أقسام:

(أ) ، (ب) هدي التمتع والقران: وهو الذي يجب على الحاج الذي لبى بعمرة متمتعًا بها إلى الحج، أو لبى بحج وعمرة قارنًا بينهما، لقوله تعالى: ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾[٢] وهذا الهدي يجب على المتمتع بالإجماع، وعلى القارن عند الجمهور.

(ت) هدي الفدية: وهو الذي يجب على الحاج إذا حلق شعره لمرض أو شيء مؤذ لقوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّاسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [٣] ويكون مخيَّرًا بين الهدي وبين الإطعام والصيام .

وقد ألحق الجمهور بهذا النوع إيجاب الهدي على من ترك واجبًا من واجبات الحج، وعلى من ارتكب محظورًا من محظورات الإحرام.

(ث) هدي الجزاء: وهو الذي يجب على المحرم الذي يقتل صيد البر، وقاسوا على هذا دماً على من ارتكب محظورًا من المحظورات في الحرمين كقطع شجره ونحوه.

(ج) هدي الإحصار: وهو ما يجب على من حُبس عن إتمام المناسك لمرض أو عدو أو نحوه، ولم يكن قد اشترط عند إحرامه –كما تقدم– لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[٤].

(ح) هدي الوطء: وهو الذي يجب على الحاج إذا جامع أثناء الحج.

(خ) هدي النذر: وهو واجب على من نذره.

---

(١) مجموع الفتاوى : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ج ٢٦ ، ص ٢٤٥، ت : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ،ط مجمع الملك فهد –المدينة النبوية – ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م.

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٦.

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٦.

(٤) سورة البقرة الآية ١٩٦.

٢ – هدي التطوع: وهو ما يتطوع الحاج المفرد – أو المعتمر المفرد– بإهدائه، وما يتطوع به غيرهما فوق ما يجب عليه) [١].

فهذه الدماء إنما هي تخفيف ورحمة وجبر للعبادة وفيها من التوسعة على الفقراء والمساكين.

فالتيسير ومراعاة أصحاب الحاجات أصل في الشريعة الإسلامية يظهر ذلك واضحا من خلال شعائر الحج .

يقول ابن تيمية :(والله تعالى أعظم تيسيراً على مأموريه وأعظم رفعاً لما لا يطيقونه عنهم.

وكل من تدبر الشرائع، لا سيما شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، وجد هذا فيها أظهر من الشمس)[٢].

مما سبق يمكن القول : إن التيسير في الحج من مظاهر عالمية الإسلام ، وهو أصل من الأصول الكبرى للشريعة الإسلامية .

فلا تكليف إلا بميسور ومقدور، والفعل الذي لا يستطيعه المكلف لا يطلب منه ، وهذا من سمات الشريعة الإسلامية لا سيما فريضة الحج .

فالحج لا يجب على غير المستطيع ، وهو فرض مرة واحدة في العمر ، وكل مناسكه جاءت في وسع الجميع ، وأي إخلال بواجب فيه دم جبرا لهذا النقص ، والنبي ﷺ في أجوبته كان ينهج التيسير والتخفيف ورفع الحرج عن السائلين ، وكذلك التخفيف على ذوي الحاجات من المرضى وكبار السن .

والتيسير في الحج يظهر محاسن الشريعة وسماحتها وما تتميز به من سهولة ويسر فأحكام الإسلام عامة والحج خاصة جاءت مبنية علي التخفيف ، والتكليف على قدر الوسع والطاقة لجميع البشر ، وهذا يجلي عالمية الإسلام في هذه الفريضة .

المطلب الثالث : تجديد الصلة بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام من خلال شعائر الحج

الإسلام هو رسالة الأنبياء جميعاً تتنوع شرائعهم وتختلف عصورهم لكن دينهم واحد؛ والحج شأنه شأن الإسلام يضرب في عمق الزمان منذ أن أذن إبراهيم عليه السلام في الناس بالحج فكل من سمع لبي ، غير أن أهل الجاهلية أدخلوا على الحج ما ليس فيه وابتدعوا في المناسك وغيروا وبدلوا .

---

(١) انظر : صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة: أبو مالك كمال بن السيد سالم ج ٢، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ط المكتبة التوفيقية، القاهرة ٢٠٠٣ م.

(٢) درء تعارض العقل والنقل: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ج٨ ، ٤٧٣ ، ت : محمد رشاد سالم، ط مكتبة الكنوز الأدبية – الرياض– ١٣٩١هـ .

وكانت رسالة النبي الخاتم محمد ﷺ رسالة عالمية ، تربط الرسالات بروابط عدة من أهمها الحج ، فجاءت الرسالة العالمية ، تجدد الصلة بإمام الحنفاء ، وتصحح الانحرافات وتقضي على البدع وتحارب المنكرات وتقتلع الوثنية من جذورها .

يقول الشيخ الندوي[١] : (ومن مقاصد الحج الرئيسة تجديد الصلة بإمام الملة الحنفية ومؤسسها إبراهيم الخليل ، والتشبع بروحه ، والمحافظة على إرثه ، والمقارنة بين حياتنا وحياته ، وعرضها عليها، واستعراض ما يعيش فيه المسلمون في العالم ، وتصحيح ما وقع في حياتهم من أخطاء أو فساد ، أو تحريف ، وإعادة ذلك كله إلى أصله ومنبعه)[٢].

والإسلام في إصلاحه لهذه الفريضة حدد أنماط الضلال التي أدخلها أهل الجاهلية على هذه العبادة يظهر ذلك فيما يلي :

[١] حرمات الحج

فرض الله الحج وجعل له زمنا معينا يؤدي فيه، قال الله تعالى :﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾[٣].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[٤].

---

(١) علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين ، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما ، ولد بقرية «تكية» بمديرية «راي بريلي» في الولاية الشمالية بالهند في ٦ محرم ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٤م . توفي والده وهو دون العاشرة حفظ القرآن الكريم، وتعلم الأردية والإنجليزية والعربية . التحق بدار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٢٩م ودرس علوم الحديث والتفسير والفقه . عين مدرساً في دار العلوم ندوة العلماء عام ١٩٣٤م ، ودرس العلوم الدينية والأدب العربي .
ترك الشيخ أبو الحسن ثروة علمية كبيرة من المؤلفات الدعوية والفكرية والأدبية قارب ثلاثمائة عنوان باللغة العربية، ومن أهمها : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، إلى الإسلام من جديد ، إذا هبت ريح الإيمان ، الطريق إلى المدينة ، رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، سيرة خاتم النبيين للأطفال ، نظرات في الأدب ، في مسيرة الحياة (٣ أجزاء) .
وكانت وفاته – رحمه الله – يوم الجمعة ٢٣ رمضان ١٤٢٠هـ ٣١ كانون الأول / ديسمبر ١٩٩٩م .
انظر : موقع الشيخ أبي الحسن الندوي على شبكة الإنترنت : http://www.nadwi.net.
(٢)الأركان الأربعة: أبو الحسن علي الحسني الندوي ص ٢٤٩، ط دار القلم ، ١٤١٥ – ١٩٩٤ م .
(٣) سورة البقرة الآية ١٩٧.
(٤) سورة البقرة الآية ٢٠٣ .

غير أن أهل الجاهلية غيروا زمان الحج وحادوا عن سنة إبراهيم وابتدعوا النسيء قال تعالى:﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١).

(إن حرمة الأزمان والبقاع إنما تتلقي عن الوحي الإلهي لأن الله الذي خلق هذا العالم هو الذي يسن له نظاماً ، فبذلك تستقر حرمة كل ذي حرمة في نفوس جميع الناس ، إذ ليس فى ذلك عمل لبعضهم دون بعض ، فإذا أدخل على ما جعله من ذلك تغيير زالت الحرمة من النفوس فلا يرضي فريق بما وصفه غيره ، فلذلك كان النسيء زيادة في الكفر لأنه من الأوضاع التي اصطلح عليها الناس ، كما اصطلحوا على عبادة الأصنام بتلقين عمر بن لُحىّ (٢)، وقد أوحى الله لرسوله ﷺ أن العام الذي يحج فيه يوافق يوم الحج منه يوم تسعة من ذي الحجة ، على الحساب الذي يتسلسل من يوم خلق الله السماوات والأرض، وأن فيه يندحض أثر النسيء .

ولذلك قال النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع : " إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض" (٣).

قالوا فوافقت حجة أبي بكر سنة تسع أنها وقعت في شهر ذي القعدة بحساب النسيء ، فجاءت حجة النبي ﷺ في شهر ذي الحجة في الحساب الذي جعله الله يوم خلق السموات والأرض)(٤).

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٧.

(٢) عمرو بن لحيى بن حارثة بن عمرو ابن عامر الأزدي، من قحطان أول من غير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان. كنيته أبو ثمامة. وفي نسبه خلاف شديد.

وخلاصة ما قيل في خبره أنه كان قد تولى حجابة " البيت الحرام " بمكة، وزار بلاد الشام ودخل أرض " مآب " كما يسميها العرب، ويسميها الأقدمون، " موآب " في وادي الأردن، بالبلقاء، فوجد أهلها يعبدون " الأصنام " وكانت قد انتشرت في مكة عادة أو عقيدة بأن أحدهم إذا أراد السفر منها حمل معه حجرا من حجارة " الحرم " يتيمن به، وانتقل بعضهم من ذلك إلى تقديس ذلك الحجر، والطواف حوله، ثم كانوا يختارون أي حجر يعجبهم من أي مكان، فيطوفون حوله كما يطوفون حول الكعبة.

وأعجب عمرو بأصنام " مآب " فأخذ عددا منها، فنصبها بمكة ودعا الناس إلى تعظيمها والاستشفاء بها، فكان أول من فعل ذلك من العرب. انظر الأعلام ج ٥ ، ص ٨٤ .

(٣) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن ، باب قوله " إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر في كتاب الله " ج ٥ ، ص٢٢٤ ، حديث رقم ٤٤٠٦.

(٤) التحرير والتنوير ج ١٠ ، ص ١٩٥ بتصرف يسير .

فعودة ميقات الحج إلى أصله استقامة للدين والدنيا، وتجديد للتمسك بملة إبراهيم عليه السلام ، والاستدارة للزمان في حجه ﷺ وافقت ما حكم الله به يوم خلق السموات والأرض .

يقول ابن تيمية :(وإذا كان الحج قبل حجة الوداع في تلك السنين باطلا واقعا في غير ميقاته ، امتنع أن يؤدى فرض الله سبحانه قبل تلك السنة ، وعلم أن حجة عتاب بن أسيد[١] وحجة أبي بكر إنما كانتا إقامة للموسم الذي يجتمع فيه وفود العرب والناس ؛ ليُنبذ العهودُ ، ويُنفي المشركون ، ويُمنعون من الطواف عراة ؛ تأسيساً وتوطئة للحجة التي أكمل الله بها الدين وأتم بها النعمة ، وأدى بها فرض الله ، وأقيمت فيها مناسك الخليل إبراهيم عليه السلام) [٢] .

وتم ذلك كله في السنة التي بعدها والتي حج فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين حجة الوداع .

[٢] الوقوف بعرفات

عرفات هو ركن الحج وهو موقف الناس الذي لا حج بدونه ، لكن قريشا لم تكن تقف بعرفات لأنها كانت ترى أن الحرم أشرف من غيره وكانت تترفع عن الناس، وبذلك ابتعدوا عن ملة إبراهيم عليه السلام فردهم الإسلام إلى حقيقة الحج وصورته الأولي .

قال تعالى :﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣]

يقول ابن كثير :(كأنه تعالى أمر الواقف بعرفات أن يدفع إلى المزدلفة ليذكر الله عند المشعر الحرام وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور الناس بعرفات كما كان جمهور الناس يصنعون ، يقفون

---

(١) عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمه زينب بنت عمرو بن أمية بن عبد شمس، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مكة، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتاب عامله على مكة . معرفة الصحابة : أبو نعيم الأصبهاني ج٤ ، ص ، ٢٢٢٤ ، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط دار الوطن للنشر– الرياض– الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

(٢) شرح عمدة الفقه : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ج٢ ، ص ٢٢٧ تحقيق : د. سعود صالح العطيشان، ط مكتبة العبيكان– الرياض – الطبعة الأولي ١٤١٣ هـ.

(٣) سورة البقرة الآيتان ١٩٨ ، ١٩٩.

بها إلا قريشاً فإنهم لم يكونوا يخرجون من الحرم عند أدني الحل ويقولون : نحن أهل الله فى بلدته وقطان بيته .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكان يسمون الحمس[١] وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها ، فذلك قوله تعالى :" ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ"[٢] .

وبذلك ألغي الإسلام تميز قريش وأمرهم أن يأتوا بمناسك الحج كسائر الناس.

[٣] طواف العراة

كان المشركون من غير قريش يطوفون بالبيت عراة ، وكانوا يقولون لا نطوف بثياب عصينا الله فيها ، وهذا الفعل الشائن هو انسلاخ من الفطرة وامتهان لكرامة الإنسانية .

وفي صحيح مسلم :" عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا الحمس قريش وما ولدت ، كانوا يطوفون بالبيت عراة إلا أن تعطيهم الحمس ثيابا فيعطي الرجال الرجال والنساء النساء" [٣] . وهذا من ابتداع سدنة البيت والحُمس إمعانا فى تعظيم البيت .

يقول الأزرقي[٤] : (فإذا حج الصَّرُورة من غير الحُمس رجلاً كان أو امرأة ، لا يطوف بالبيت إلا عاريا – الصَّرُورة أول ما يطوف – إلا أن يطوف في ثوب أحْمسِيّ إما إعارة وإما إجارة ، يقف أحدهم بباب المسجد ، فيقول من يعير مصونا ؟ من يعير ثوبا ؟ فإن أعاره أحمسي ثوبا أو

---

(١) الحمس : قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس ، سموا جميعا لأنهم تحمسوا فى دينهم أي تشددوا ، وكانت الحمس سكان الحرم وكانوا لا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات وإنما يقفون بالمزدلفة .
انظر تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي ج٤، ص ٢٠٦ ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير ، باب أفيضوا من حيث أفاض الناس ج ٦ ، ص ٣٤ حديث رقم ٤٥٢٠ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ج١ ، ص ٣٠١.

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب في الوقوف وقوله تعالى : " ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس "ج٢ ، ص ٨٩٤ ، حديث رقم ١٢١٩ .

(٤) محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد ابن الوليد بن عقبة بن الأزرق. أبو الوليد الأزرقي: مؤرخ، يماني الأصل، من أهل مكة. له أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، توفي نحو سنة ٢٥٠ هـ. انظر : الأعلام ج ٦، ص ٢٢٢.

أكراه طاف به ، وإن لم يعره ألقي ثيابه بباب المسجد من خارج ، ثم دخل الطواف وهو عريان)[1].

تشريع جاهلي يتناقض مع الفطرة السليمة ومع شعائر الحج الصحيحة ، فأبطل الإسلام ما كانت عليه الجاهلية .

قال تعالى :﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [2]

(فالمقصد من قوله" خذوا زينتكم " إبطال ما زعمه المشركون من لزوم التعري في الحج في أحوال خاصة)[3] .

والنداء بلفظ " يا بني آدم " فيه في دليل على بعثة النبي ﷺ إلى جميع البشر .

ففي صحيح البخاري :" حَدَّثنا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثنا اللَّيْثُ، قَالَ يُونُسُ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بَعَثَهُ فِي الحَجَّةِ الَّتِي أَمَّرَهُ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ يَوْمَ النَّحْرِ، فِي رَهْطٍ يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ: أَلاَ لاَ يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ " [4].

وفي ذك الحديث نهي عن طواف العراة بالبيت ، وحج المشركين ، وعودة شعائر الحج إلى أصلها الصحيح.

[٤] الطواف بالصفا والمروة

من جملة الشعائر التي صححها الإسلام الطواف بالصفا والمروة ، حيث إن الطواف كان فيه تحرج بسبب الأصنام التي كانت على جبل الصفا وجبل المروة ، فبين الله تعالى أن الطواف بهما من شعائر الله تعالى .

---

(١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ج ١ ، ص ١٧٨.

(٢) سورة الأعراف الآية ٣١.

(٣) التحرير والتنوير ج ٨ ، ص ٩٢.

(٤) صحيح البخاري : كتاب الحج ، باب لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك ج٢ ، ص ١٨٨ حيث رقم١٦٢٢.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١)

وفى صحيح البخاري : قَالَ عُرْوَةُ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} فَوَاللهِ مَا عَلَى أَحَدٍ جُنَاحٌ أَنْ لاَ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، قَالَتْ: بِئْسَ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنَّ هَذِهِ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوَّلْتَهَا عَلَيْهِ، كَانَتْ: لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لاَ يَتَطَوَّفَ بِهِمَا، وَلَكِنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي الأَنْصَارِ، كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ الطَّاغِيَةِ، الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ المُشَلَّلِ(٢)، فَكَانَ مَنْ أَهَلَّ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا، سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ عَنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ الآيَةَ،

قَالَتْ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا، فَلَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ أَخْبَرْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَعِلْمٌ مَا كُنْتُ سَمِعْتُهُ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رِجَالاً مِنْ أَهْلِ العِلْمِ يَذْكُرُونَ ؛ أَنَّ النَّاسَ، إِلاَّ مَنْ ذَكَرَتْ عَائِشَةُ، مِمَّنْ كَانَ يُهِلُّ بِمَنَاةَ، كَانُوا يَطُوفُونَ كُلُّهُمْ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَلَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ فِي القُرْآنِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كُنَّا نَطُوفُ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَإِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ، فَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا، فَهَلْ عَلَيْنَا مِنْ حَرَجٍ أَنْ نَطَّوَّفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ الآيَةَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَأَسْمَعُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي الفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا، فِي الَّذِينَ كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطُوفُوا بِالْجَاهِلِيَّةِ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَالَّذِينَ يَطُوفُونَ، ثُمَّ تَحَرَّجُوا أَنْ يَطُوفُوا بِهِمَا فِي الإِسْلاَمِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ بِالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا، حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ، بَعْدَ مَا ذَكَرَ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ) (٣).

لقد طهر الإسلام الحج من كل شوائب الجاهلية ، ورده إلى أصله وحقيقته .

[٥] نضح البيت بلحوم القرابين ودمائها

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٥٨ .

(٢) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وتشديد اللام الأولى المفتوحة، اسم موضع قريب من قديد من جهة البحر، ويقال هو الجبل الذي يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر (وقال البكري) هي ثنية مشرفة على قديد، وقال السفاقسي هي عند الجحفة والله أعلم . انظر : الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني : أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي ج ١٢ ، ٧٦ بالهامش ، ط دار إحياء التراث العربي .

(٣) صحيح البخاري ، باب وجوب الصفا والمروة وجُعل من شعائر الله ج٢، ص ٥٩١ ، حديث رقم ١٥٦١.

كان المشركون ينضحون البيت الحرام بلحوم القرابين ودمائها ، وهم بذلك جاروا عن شريعة الخليل إبراهيم عليه السلام وأدخلوا الوثنية في شعائر الحج .

لأن العبرة ليست بالدم المراق ولا اللحوم المتصدق بها وإنما العبرة بالإخلاص

قال تعالى:﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

عن ابن جريج قال : كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ فنحن أحق أن ننضح ، فأنزل الله : " لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ " أي : يتقبل ذلك ويجزي عليه"(٢).

القربان في أصله شكر لله تعالى على نعمه ، وهو ثمرة التقوي التي أمر الله بها عباده ويتقبلها منهم فلا يذبح لغيره ،وبذلك يبطل الإسلام فعل المشركين بنضح البيت بدماء لحوم القرابين . (فالذي يصل إلى الله هو إيمان المهدي أو المقرب بأن ربه واحد ، وأنه منزه عن كل ما يحتاج إليه المخلوق ويوصف به ، وأن يكون إيمانه قولا يؤيده الفعل ، وذلك هو التقوى) (٣).

[٦] اتخاذ موسم الحج للتفاخر

كان أهل الجاهلية يتفاخرون بالأحساب والأنساب ويعددون مآثر الآباء والأجداد في موسم الحج . فلما أكرمهم الله بالإسلام أمرهم بذكره كما كانوا يذكرون آباءهم.

قال تعالى :﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (٤)

(روي ابن عباس أن العرب كانوا عند الفراغ من حجتهم بعد أيام التشريق يقفون بين مسجد مني وبين الجبل ويذكر كل واحد منهم فضائل آبائه في السماحة والحماسة وصلة الرحم ، ويتناشدون فيها الأشعار ، ويتكلمون بالمنثور من الكلام .

---

(١) سورة الحج الآية ٣٧.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ، ص ٢٧٤

(٣) حجة النبي ﷺ وأحكام الحج والعمرة والحج في الإسلام والزيارات الآخرة ص ٢٥٥.

(٤) سورة الحج الآية ٣٧.

ويريد كل واحد منهم من ذلك الفعل حصول الشهرة والترفع بمآثر سلفه ، فلما أنعم الله عليهم بالإسلام أمرهم أن يكون ذكرهم لربهم كذكرهم لآبائهم) [١].

وفي الحديث : "عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: طَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ الْقَصْوَاءِ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ بِمِحْجَنِهِ، وَمَا وَجَدَ لَهَا مُنَاخًا فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أُخْرِجَتْ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي، فَأُنِيخَتْ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا بَعْدَ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى رَبِّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى رَبِّهِ ، ثُمَّ تَلَا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ حَتَّى قَرَأَ الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: أَقُولُ هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ "[٢] . فالناس أمة واحدة فلا مكان للجاهلية في ظل هذه الفريضة .

[٧] إتيان البيوت من ظهورها

كان أهل الجاهلية إذا أهلوا بالحج لم يدخلوا البيوت من أبوابها ، وكانوا يظنون أن هذا من البر ، فجاء الإسلام وأبطل هذا التصور وهذا الفعل الذي بني على غير أساس ، وبيّن أن البر هو التقوى .

قال الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٣] .

(كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم رجل منهم بالحج فإن كان من أهل المدر – يعني أهل البيوت – نقب في ظهر بيته فمنه يدخل ويخرج أو يضع سلما فيصعد منه وينحدر عليه . وإن كان من أهل الوبر – يعني الخيام– يدخل من خلف الخيام الخيمة إلا من كان من الحمس) [٤].

---

(١) مفاتيح الغيب ج ٥ ، ص ٣٣٣ .

(٢) صحيح ابن حبان ج٩ ، ص ١٣٧، حديث ٣٨٢٨ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٩.

(٤)انظر : تفسير القرطبي ج٢ ، ص ٣٤٤ وما بعدها.

فبين الله أن التقوى في امتثال أمره وتقواه وإتيان البيوت من أبوابها ، وبذلك أبطل الإسلام هذا الفعل وسوى بين جميع الناس .

[٨] ترك الزاد في الحج

من الأخطاء التي عالجها الإسلام ترك الزاد عند إرادة الحج .

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي:(إن أناسا من العرب كانوا يستحيون ويتأثمون من أن يخرجوا للحج مع زاد يبلغهم إلى البيت ويتجلدون ، ويتظاهرون بالتوكل ، ويقولون : نحن ضيوف الله ، ولا نتزود ، ولا نتبلغ ، وكانوا لا يتحرجون من التسول والشحاذة ، والاستجداء ويعدون ذلك في سبيل الله ، فنهاهم الله عن ذلك وقال : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[١] ، [٢] .

وفي صحيح البخاري : "عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [٣] .

[٩] التأثم في التجارة في موسم الحج

كانت العرب تتحاشى التجارة في موسم الحج فأباح الله لهم ذلك ورخص لهم فيه رحمة وسعة وتيسيراً لهم.

" قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كَانَ ذُو المَجَازِ، وَعُكَاظٌ، مَتْجَرَ النَّاسِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ، كَأَنَّهُمْ كَرِهُوا ذَلِكَ، حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ "[٤]

ففي الآية رخصة بالتجارة وطلب الرزق لمن يؤدي المناسك ، وليس في ذلك إثم ولا حرج.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٧.

(٢)الأركان الأربعة ص ٢٩٠.

(٣) صحيح البخاري كتاب الحج ، باب قول الله تعالى " وتزودوا فإن خير الزاد التقوى "ج ٢ ، ص ٥٥٤ ، حديث ١٤٥١.

(٤) صحيح البخاري كتاب الحج ، باب التجارة أيام الموسم والبيع في أسواق الجاهلية ج٢ ، ص ٢٢٢ حديث ١٧٧٠ ، والآية من سورة البقرة الآية ١٩٨.

مما سبق يتضح لنا أن التجديد والإصلاح في تشريع مناسك الحج دليل عالمية الإسلام والتي ظهرت في أمور عدة أهمها :

١- تحقيق التوحيد في جميع مناسك الحج ، وتجديد الفطرة وإزالة ما طرأ عليها .
٢- إقامة مناسك الحج على أسسها الصحيحة من خلال موافقة الإرث الإبراهيمي وتطهير الحج من الشركيات والعادات الجاهلية .
٣- البراءة من المشركين ومخالفة هديهم ، فإن ما فعله النبي ﷺ وشرعه لأمته في المناسك مخالفة لهدي المشركين.
٤- الناس سواسية لا فرق بين قرشي وغيره في الحج، فلا مكان للعصبيات ولا للقوميات ولا امتياز لقبيلة دون أخرى .

٥- ربط الدين بالدنيا وإقامة المناسك وكل شئون الدين على أساس من الزاد والتوكل على الله والأخذ بالأسباب .
٦- نبذ التشدد والتحرج في المباحات ، والجنوح إلى اليسر والرفق في كل شئون الحج.
٧- تصحيح الأخطاء وإصلاح ما أفسده الناس مهمة الأنبياء جميعاً وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ حيث رد الحج إلى أصله ، وبين للناس رسالة ربهم .
٨- الدعاة إلى الله تعالى هم أهل الإرث النبوي المنوط بهم القيام بمهام الدعوة إلى الله وإصلاح ما أفسده الناس وتبليغ دين رب العالمين إلى الناس أجمعين.

المبحث الثالث : الأخلاق في الحج مظهر من مظاهر العالمية

اهتمت الشرائع السماوية بالأخلاق وجاءت بعثة محمد ﷺ لتتمم مكارم الأخلاق ففي الحديث : عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :" إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ "[1] فرسالته كانت هي النور الذي يضئ للإنسانية الطريق .

والحج مدرسة عملية يتدرب فيها المسلم على الصبر والعفو والبذل والإيثار والجود والبر لأنه يخاف فوات الأجر أو نقصان الثواب ، فأشهر الحج معلومة ، وأيامه معدودة .

قال تعالى :﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾"[2] .

يقول الرازي :(الحكمة في أن الله تعالى ذكر هذه الألفاظ الثلاثة لا أزيد ولا أنقص، وهو قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ هي أنه قد ثبت في العلوم العقلية أن الإنسان فيه قوى أربع: قوة شهوانية بهيمية، وقوة غضبية سبعية، وقوة وهمية شيطانية، وقوة عقلية ملكية، والمقصود من جميع العبادات قهر القوى الثلاثة، أعني الشهوانية، والغضبية، والوهمية، فقوله فلا رفث إشارة إلى قهر الشهوانية، وقوله: ولا فسوق إشارة إلى قهر القوة الغضبية التي توجب التمرد والغضب، وقوله: ولا جدال إشارة إلى القوة الوهمية التي تحمل الإنسان على الجدال في ذات الله، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، وأسمائه، وهي الباعثة للإنسان على منازعة الناس ومماراتهم، والمخاصمة معهم في كل شيء، فلما كان منشأ الشر محصورا في هذه الأمور الثلاثة لا جرم قال: فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج أي فمن قصد معرفة الله ومحبته والاطلاع على نور جلاله، والانخراط في سلك الخواص من عباده، فلا يكون فيه هذه الأمور، وهذه أسرار نفسية هي المقصد الأقصى من هذه الآيات، فلا ينبغي أن يكون العاقل غافلا عنها، ومن الله التوفيق في كل الأمور) [3].

---

(١) سنن البيهقي الكبرى ج ١٠ ، ص ٣٢٣، ح ٢٠٧٨٢.

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

(٣) مفاتيح الغيب ج ٥ ، ص ٣١٩.

ففي الحج تكون التخلية عن كل صفة ذميمة وعن كل محظور من قول أو فعل ، وتكون التحلية بكل خلق حميد وصفة محمودة ، ولهذا جاء الأمر في الحج بالتزود والتقوي ، وبذلك ينمي الإسلام في الإنسان عبادة المراقبة والتقوى والخوف من الله والامتثال لأوامره والانقياد لتعاليمه

ومن خلال هذه الآية نلمح الرقي الإنساني والدعوة العالمية بتوجيه المسلم إلى الطيب من القول واجتناب اللغو والكذب والفحش والزور وكل المعاصي ، كما نلمح تنمية المراقبة الذاتية فالمسلم بنفسه وبرقابة من داخله يمنع نفسه من كل محظورات الحج ويعمل جاهدا على إصلاح الظاهر والباطن .

وفي الآية ارتباط وثيق بالأخلاق حيث التخلية والتحلية ليرتقي المسلم في مراتب الدين ليصل بأخلاقه إلى درجة الإحسان .

(وهذه الكلمات الثلاثة تستخدم لبيان شرور اجتماعية تقع عموما بواسطة الكلام .....واجتماع الحج تربية عملية للابتعاد عن هذه الشرور الاجتماعية ، وترتبط بمقامات الحج ذكريات القدسية والاحترام فيؤتى بالمؤمن هناك ليكتمل تدريبه على اجتناب هذه الشرور ، وهو يعيش في بيئة اجتماعية خاصة فينصرف بنفسه عن الفواحش والأنشطة السطحية إلى الأشياء الرزينة، ويصقل مزاجه على الثبات على الحق والصلاح في كل الأحوال ، فلا يخاصم أخاه في الحياة الاجتماعية رغم التجارب المؤسفة التي تؤذي مشاعره)[١].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[٢].

(وقوله: " فلم يرفث" ، أي امتنع عن الرفث والفسوق أيام الحج خاصة أزال ذلك كل رفث وفسوق سبق، فرجع إلى الصفاء والطهارة والخلوص كيوم ولدته أمه، لا ذنب له وبقي حجه فاضلًا له، وباقيًا عليه؛ لأن مما شرع الله عز وجل أن الحسنات يذهبن السيئات) [٣].

---

(١) حقيقة الحج : وحيد الدين خان ص ١٩ ، ترجمة : ظفر الإسلام خان ،ط دار الصحوة ، الطبعة الأولي ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م .

(٢) صحيح الإمام مسلم كتاب الحج ، باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة ج٢ ، ص ٩٨٣ ، ح١٣٥٠ .

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح: أبو المظفر عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ ج٦ ، ص ٤١٠ ، ت : فؤاد عبد المنعم أحمد ، ط دار الوطن ١٤١٧هـ .

فالولادة الجديدة للمسلم تكون بالتخلية عن الأخلاق المذمومة والتحلي بالأخلاق الحميدة في الحج.

وتأتي آيات سورة الحج تدعو إلى عموم الفضائل وتعظيم الحرمات والشعائر للوصول إلى التقوى ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (١) .

فتقوى الله وتربية المسلم على المراقبة لله هي الغاية من شعائر الحج وبذلك يترقى المسلم في سلم العبودية لله ويطهر نفسه من الأخلاق الذميمة ، لتكون أخلاقه دليل إنسانيته ومظهر عالمية الإسلام .

مما سبق ذكره ظهر لنا : الحج عبادة بدنية مالية روحية قلبية غايتها تطهير المسلم وتزكيته تغرس فيه الانضباط وروح الإسلام من خلال التذلل لله ، والمراقبة لله ، وتعظيم حرماته فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وتعظيم شعائر دينه من خلال الذبح وإطعام الفقراء ، والمواساة للمسلمين ، والإيثار ، وروح التعاون والتآلف ، وكل هذه مقصدها وجه الله تعالى.

ومتي حققت الأمة في مجموعها هذه الأخلاق واستقامت عليها كانت رائدة وقيمة في المجال الإنساني كله ، فالأخلاق الزكية لا يختلف عليها اثنان .

والحج يأخذ بعدا أخلاقيا ومعرفيا في إعداد الحجيج فيصقل فيهم الفكر والتدبر ، والتجرد والتذكر ثم النفس الزاكية ، والصبر وحسن التخلق ليكون مؤهلاً لحمل الدعوة وتبليغها.

وبذلك نري عالمية الإسلام من خلال هذا الجانب الإنساني الذي تبحث عنه الإنسانية .

وكل شعائر الحج تحمل الكثير من المعاني الأخلاقية حتي الأدعية والأذكار.

(فالمحرم عندما يرى البيت يقول : "اللهم أنت السلام ومنك السلام حينا ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفا وتكريما ومهابة ، وزد من حجه أو اعتمر تكريما وتشريفا" هذا الدعاء يدل على

---

(١) سورة الحج الآيات ٣٠- ٣٢ .

أن من أهداف الإسلام في الحج غرس حب السلام في النفوس ، واستئصال روح الكراهية والبغضاء ، وتوجيه الناس إلى أن يعيشوا إخوة متحابين)[1] .

والحج يحرر النفس من رغباتها وأطماعها، فلا يطمع إلا في مغفرة الذنوب وقبول الحج .
فترك المعاصي ومغفرة الذنوب هي ثمرة الحج ، ويتعبد المسلم ربه بالذل والانكسار والطاعة والخشوع بين يديه وعند بيته ، وهذا يثمر العزة للمسلم في كل أحواله وأوقاته .
ويسعي المسلم بين الصفا والمروة يتعلم الكفاح والضرب في الأرض واثقا بربه ، راجيا إياه، مؤملا فيه ، متوكلا عليه ، يأخذ بالأسباب كما أخذت أمنا هاجر عليها السلام .

والأمة المسلمة يجب عليها أن تسعي وأن تبذل الطاقة والوسع من أجل أن تروي ظمأها وظمأ العطاشي وهذا من معني العالمية ، فتحقيق عالمية الإسلام يكون بالعمل والدعوة معاً.

فصفاء القلب ومرؤة الإنسان وزمزم الحياة كلها معاني إنسانية تظهر الأخلاق النبيلة والقيم الأصيلة داخل النفس .

فالحج مدرسة تعلم الفضيلة والتزكية والطهارة والتقوى ، وتأتي شعائر الحج بأوقاتها وأحوالها وأسمائها لتضيف معان جديدة للأخلاق ، ويدهش المرء في أن الوقوف بعرفة يكون في وضح النهار والمبيت بالمشعر ليلا.

(عرفة تمثل رحلة المعرفة والعلم التي هي في ذاتها علاقة موضوعية بين التفكير والحقائق الموجودة في العالم ، ولهذا فهي في حاجة إلى ضوء النهار .

أما المشعر الحرام فهو يمثل مرحلة "الشعور" وهي بالتالي علاقة ذاتية بين الأفكار ، لهذا فهو قوة تكتسب بمزيد من تركيز الفهم في الظلام والهدوء الذي توفره ساعات الليل . عرفات هي مرحلة التجربة والموضوعية ، والمشعر هو مرحلة البصيرة الذاتية .

عرفات هي رحلة ذهنية لا علاقة مباشرة بينها وبين علاج الفساد والأمراض ، والمشعر الحرام هو مرحلة الشعور المضطلع بالمسئولية والطهارة والتقوي في الأرض الامنة المقدسة أرض "المشعر الحرام " كأنك في المسجد الحرام وفي الشهر الحرام حيث يمنع الرفث والفسوق

([1]) روح الدين الإسلامي ص ٢٦٢.

والعصيان والحرب والعدوان ....؛ حيث لا يسمح لأحد بأن يؤذي حيوانا ولا حتى أن يقتلع نباتا ... هنا الأرض والسماء يسودهما الأمن والسلام في مناخ الحرية والتواضع ونفوس متشربة التقوى التي تجعل من السلام نتيجة حتمية)[١].

كل منسك من مناسك الحج يحمل الكثير من المعاني الأخلاقية

الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله ، التواضع وخفض الجناح ، المراقبة ، الألفة والتعاون ومحو الفوارق والمساواة والإخاء .

وفي الحج يتعلم المسلم تعظيم الشعائر ، وذكر الله ، والتقرب إليه بالذبائح والهدي ، وإطعام البؤساء والفقراء والمحتاجين ، وفي هذا استكمال وحدة الأمة التي تستوجب الشكر.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٢] .

يقول الشيخ محمد الغزالي[٣] : (والعبادات التي شرعت في الإسلام واعتبرت أركانا في الإيمان به ، ليست طقوساً مبهمة من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة ، ويكلفه بأداء اعمال غامضة لا معنى لها ، كلا فالفرائض التي ألزم الإسلام بها كل منتسب إليه ، هي تمارين متكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة ، وأن يظل مستمسكاً بهذه الخلاق ، مهما تغيرت أمامه الظروف .....إنها أشبه بالتمارين الرياضية التي يقبل الإنسان عليها بشغف ، ملتمساً من المداومة عليها عافية البدن وسلامة الحياة) [٤].

---

(١) الفريضة الخامسة ص ٩٥ ، ٩٦.

(٢) سورة الحج الآية ٣٦.

(٣) الشيخ محمد الغزالي احمد السقا ولد في سنة ١٣٣٥هـ- ١٩١٧ م في قرية نكلا العنب مركز إيتاي البارود محافظ البحيرة ، سماه والده محمد الغزالي تيمنا بالإمام أبي حامد الغزالي ، حفظ القرآن في العاشرة من عمره ، حصل علي العالمية من كلية أصول الدين ١٩٤٣ م ، عمل بالدعوة إلي الله تعالي وكان له فيها جهد مشكور ، جاهد في الدعوة خطابة وكتابة وسجن من أجلها ، له مصنفات كثيرة منها : الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، ظلام من الغرب ، الإسلام والطاقات المعطلة ، كان يملك عقل الفقيه ، وصوفية الداعية ، وبراعة الأديب ، توفي ١٩٩٦ م . انظر : الموسوعة العربية ج٥ ، ص ٢٣٣٠.

(٤) خلق المسلم : محمد الغزالي ص ٧ ، ط دار نهضة مصر ، الطبعة العاشرة ٢٠٠٥ م .

(فالصلاة والصيام والزكاة والحج ، وما أشبه هذه الطاعات من تعاليم الإسلام ، هي مدارج الكمال المنشود ، وروافد التطهر الذي يصون الحياة ويعلي شأنها ، ولهذه السجايا الكريمة – التي ترتبط بها أو تنشأ عتها – أعطيت منزلة كبيرة في دين الله .

فإذا لم يستفد المرء منها ما يزكي قلبه ، وينقي لبه ويهذب بالله وبالناس صلته فقد هوى) [١].

(وإنما الحكمة كما أفصحت عنه آية الحج أن يجتمع الموحدون في زمن واحد ومكان واحد ، ليشهدوا منافع لهم ، وليزيلوا تفثهم .أما المنافع فسبيلها ما ذكرنا ، وأما إزالة التفث، فليس الأمر فيها قاصراً على إزالة أدران البدن من شعث السفر ، وإنما هو تنبيه بالأدنى، وهو درن البدن على الأعلى وهو درن العقل ودرن الجماعة، فدرن القلب : وقوعه تحت ضغط الشهوة والهوى ، ودرن العقل : وقوعه تحت ضغط الشكوك والأوهام ، ودرن الجماعة : وقوعها تحت سيطرة الجهل والفقر وتحت سيطرة الغاصبين .

وإذن ، فإزالة التفث ، تخلية عما لا ينبغي للفرد والجماعة ، وتحصيل المنافع تحلية بما ينبغي للفرد والجماعة ، والحج قد شرعه الله لتلك التخلية ، وهذه التحلية وهكذا كان الحج في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم) [٢].

مما سبق يظهر بجلاء أن الأخلاق تهذيب للنفس البشرية وتخليها عن فعل السيئات وتحليها بفعل الطاعات ، وبذلك يتدرب المسلم في مدرسة الحج ليقدم للإنسانية عطاء بلا حدود ، ويعطي انطباعا جيداً لدي الآخر عن المسلمين ، وبهذه الأخلاق يصل المسلم إلى مرتبة التقوى التي تحمل لواء عالمية الإسلام حيث النفع والعطاء والحب والسلام والحوار والبيان ، وبذلك يستعلي المسلم على القوميات والفوارق الطبقية ليدعو إلى الإسلام دين الله للعالمين .

خطبة الوداع وثيقة الأخلاق والمبادئ الإنسانية

جاءت خطبه ﷺ في حجة الوداع جامعة لأصول الدين وفروعه ، تحمل الهداية للعالمين ، والتكليف للمؤمنين ، وتظهر عموم رسالته ، وشمول دعوته.

---

(١) خلق المسلم : محمد الغزالي ص ٩ .

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة : د محمود شلتوت ص ١٣٦.

ففي صحيح مسلم :" فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ: إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ ، كِتَابُ اللهِ ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ ، فَقَالَ : بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ اللَّهُمَّ ، اشْهَدْ ، اللَّهُمَّ ، اشْهَدْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[1]

" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَلَيهِ وسَلمَ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ، فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ." [2]

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَلَيه وَسَلم فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ خُطْبَةَ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ لأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ " [3]

من الروايات السابقة يمكن القول : إن هناك روايات متعددة في حجة الوادع ، والثابت أنه ﷺ خطب يوم عرفة ويوم النحر وأوسط أيام التشريق ، وخطبته تحمل عالمية الرسالة ووجوب البلاغ

([1]) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حجه ﷺ ج٢ ،ص٨٨٩ ، ح ١٢١٨.

(٢) صحيح البخاري ، بَابُ الخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى، ج٢ ، ص ٢١٥ ، ح ١٧٣٩.

(٣)الجامع لشعب الإيمان ج٧ ، ص ١٣٢ ، ح رقم ٤٧٧٤ ،.و قال الألباني :صحيح لغيره ، صحيح الترغيب والترهيب ج٣ ، ص ١٣٥ ، ح ٢٩٦٤.

، والإنسانية لن تحيا آمنة على دمائها وأموالها وأعراضها إلا في ظل التطبيق العادل لخطابه الجامع الذي تناول فيه حرمة الدماء ، وحرمة الأموال والأعراض ، والوصية بالنساء ، والقضاء علي العنصرية ، وتحديد المرجعية ، والإشهاد ، والشهادة حيث كلف الحاضر أن يبلغ الغائب.

(وفى حجة الوداع كان الخطاب الإنساني الذى ألقاه رسول الله ﷺ في الوفود الكثيفة التي اجتمعت معه، وهو خطاب لم تع مسامع الوجود أرقى من مبادئه، ولا أشرف من مقاصده . . وهو السجل الصادق لحقوق الإنسان وحريات الأمم . . وينبغي أن يبقى الحج ملتقى المسلمين الأكبر، ومثابتهم العظمى، وأن يبقى زمانه ومكانه الموعد المضروب لاجتماع الموحدين القادمين من المشارق والمغارب، يذكرون الله ويرجمون الشيطان) [١].

لقد أرسى سيدنا محمد ﷺ في هذه الخطبة مبادئ الرحمة والإنسانية، وأرسى دعائم السِّلم والسلام، وأقام أواصر المحبة والأخوَّة. وكانت بحق الإعلان الأول لحقوق الإنسان .

وكان مبدأ المساواة بين جميع الناس مظهرا من مظاهر العالمية التي تجسدت في الحج ووثقت في خطبة الوداع .

فخطابه ﷺ جاء بصيغة " أيها الناس " ولم يأت بغيرها من النداءات وفيه إشعار بعالمية الإسلام وحاجة الناس إليه .

وقوله " ربكم واحد " فيه معني المساواة النى تظهر في أن الخلق جميعا من الله سواسية ، فالله الذي يحج الناس بيته ويقصدونه بالعبادة ليس ربا للعرب وحدهم ؛ بل هو رب العالمين.

وقوله " إن أباكم واحد " بيان لأصل الإنسانية، فكلهم أسرة واحدة تعود لآدم عليه السلام.

وقوله " لا فضل لعربي على عجمي ...إلا بالتقوى " تأكيد على الأخوة الإنسانية والتي تتجسد في الحج من حيث كونه مقصدا تلتقي فيه جميع الأجناس وتذوب فيه الفوارق وتظهر فيه عالمية الدين .

(عالمية تفتح أبوابها لكل طارق ، ولا تغلقه دون قاصد ، عالمية تمحو الأخوة الإسلامية فيها كل الفوارق العرقية والطبقية ، ويصبح معها المسلمون متساويين في الحقوق والواجبات) [٢] .

وتظهر المساواة في الحج من خلال :

---

(١) هذا ديننا: محمد الغزالي ص ١٣٣ ، دار نهضة مصر .

(٢) الإسلام والحضارة الغربية : د محمد محمد حسين ص ١٩٣ ، ط دار الفرقان.

[١] ثياب الإحرام والتجرد من المخيط : وهو يرمز إلى خلع كل ما له صلة بالجاهلية والعنصرية والطبقية ، فالمساواة بين الجميع الحاكم والمحكوم ، الغني والفقير ، الشريف والوضيع ، فلا تيجان ، ولا أوسمة ، ولا نيشاين ، ولا أكاليل ، الكل تجرد من كل هيئه إلا هيئة الذلة والانكسار بين يدي الله رب العالمين .

[٢] الزمان : أشهر الحج معلومة وأوقاته محدودة ، فاليوم الثامن من ذي الحجة هو يوم التروية ، والتاسع هو يوم عرفة ، والعاشر هو يوم النحر يوم الحج الأكبر ، والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر هي الأيام المعدودات .

[٣] المكان: أمكنة الشعائر والمناسك محددة والقدوة فيها رسول الله ﷺ حيث طاف بالبيت ، وسعي بين الصفا والمروة ، ووقف بعرفة ، وبات بالمزدلفة ، ورمي الجمرات بمنى .

[٤] تأدية النسك : كل من أراد الحج يخلع ثيابه ويلبس ثياب الإحرام ، ويهتف بالتلبية ، ويطوف بالبيت ويسعي بين الصفا والمروة ، ويقف بعرفة ويذهب إلى المزدلفة ومنها إلى منى لرمي الجمرات ، يذبح هديه ، ويحلق رأسه ، ويطوف طواف الركن ، الكل سواء .

والمساواة في الحج تُظهر من ناحية أخري عالمية الإسلام حيث وحدة الانتماء الإنساني، وإحياء القواسم الإنسانية المشتركة كما جاءت في خطبة الوداع ، ومحاربة الطبقية والعنصرية .

وفي المساواة وأد النعرات الجاهلية وإماتة للقوميات والمضي نحو الإنسانية في أسمى معانيها ، والحج في حقيقته ثورة على كل النظم الفاسدة والشعارات الزائفة والمساواة المصطنعة والنسبية .

ويأتي بيانه صلى الله عليه وسلم في استدارة الزمان وعودة الأشهر الحرم إلى وقتها الصحيح الذي كانت عليه يوم أن خلق الله السموات والأرض ، وفي استدارة الزمان تظهر ملامح العالمية حيث دوران أشهر الحج على فصول السنة الأربعة .

وإبلاغ الدين وعالميته يتناسب مع استدارة الزمان حيث دوران الأرض حول محورها الذي يتولد عنه الليل والنهار وبلوغ الإسلام ما بلغ الليل والنهار .

وفي الحديث : عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ[1]، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ "[2].

وفي هذا بيان مكانة النبي ﷺ فهو الذي أكمل الله به الدين وأتم على يديه الأمر ، وفيه كذلك بيان أصل ومشروعية الأشهر الحرم ، وأن التقويم القمري هو المعتمد عليه، فهو مناط الأحكام الشرعية مثل : الصيام والزكاة والحج والعدة والإيلاء .

والأمة مطالبة من ربها بدعوة غيرها وتطبيق مبادئ دينها ، فما كانت خطبة الوداع كما هو حال منظمات حقوق الإنسان حبرا على ورق لا تدخل حيز التنفيذ ، أو هي لصالح شعوب أو دول دون أخري ، إنما هي كافة وعامة لعموم الناس .

وخطبة الوداع لم تكن بيانا عن الحج ولا عن مناسكه وإنما هي بيان لأصول الدين وأحكامه ، فهي تحمل أبعاداً عالمية متعددة لصالح الإنسانية في كل زمان ومكان .

١- البعد السياسي : صيانة الدماء وحفظ الأعراض وطاعة الحكام في غير معصية الله إنما هي الأساس الذي يقوم عليه الاستقرار ، وتتوحد من خلاله الدول .
٢- البعد الاقتصادي : يظهر هذا البعد من خلال حديث النبي ﷺ عن ربا الجاهلية ، وأن زيادة المال إنما تكون بالعمل .
٣- البعد الاجتماعي : قضايا المرأة ، وعلاقة الزوج بزوجته ، والحقوق والواجبات ، والمواريث.
٤- البعد الاخلاقي : حيث المساواة والرحمة ، ونبذ العنصرية ، ومخالفة الشيطان .

([1])هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة ابن دراع بن عدى بن الدار بن هاني بن حبيب بن نمازه ابن لخم بن عدي، ينسب إلى الدار، وهو بطن من لخم، يكنى أبا رقية [بابنة له تسمى رقية] لم يولد له غيرها.كان نصرانيا، وكان إسلامه في سنة تسع من الهجرة، وكان يسكن المدينة، ثم انتقل منها إلى الشام بعد قتل عثمان رضى الله عنه. انظر : الإصابة ج١ ، ص ١٩٣ .

([2]) مسند الإمام أحمد ج ٢٨ ، ص ١٥٥ ،ح رقم ١٦٩٥٧. يقول الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي .

٥- البعد الدعوي : يظهر هذا البعد من خلال خطبته الجامعة في حجته الوحيدة ، حيث أكبر تجمع للمسلمين في هذه البقعة المحرمة ، وإظهار التوحيد والدعوة إليه ، ونبذ الشرك ، وإشهاد الأمة على البلاغ ، وتكليفها به.

هذه الأبعاد التي اشتملت عليها خطبة الوداع مطلب الإنسانية بلا نزاع ، وهي تجسد رسالات الأنبياء جميعا في تحرير الإنسان من كل عبودية ليحقق العبودية الكاملة لله وفيه الدعوة للأمة بالبلاغ والبيان .

أعظم وثيقة عرفتها البشرية جاءت من أعظم خطيب وأفضل نبي في أشرف وأقدس مكان في أفضل الأيام يوم عرفة ليبين حرمة الدماء والأموال والأعراض ، وفي هذا دعوة للإنسانية قاطبة إلى الحفاظ على حقوق الإنسان .

نعمة الأمن التي تتطلع إليه الإنسانية نبتها الحقيقي دعوة إبراهيم عليه السلام بطلب الأمن لهذه البقاع المقدسة ، والنبي ﷺ أسمع الدنيا حاضرها ومستقبلها بالأمن الذي تنشده البشرية لتتخلص من الخوف والقلق والاضطراب والظلم والجهل والأمة مطالبة بتبليغ الدين إلى الناس جميعا ليتحقق الأمن الحقيقي.

مسئولية الأمة عن البلاغ

الإنسان هو المدعو الذي يشمله الخطاب الإلهي والتوجيه النبوي ، والدعوة لا تنقطع بانقطاع وحي السماء ، وإنما باقية ببقاء الإسلام .

والأمة يقع عليها واجب التبليغ وأمانة الدعوة ، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم من شهد خطبة الوداع أن يبلغ " أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ "

(النبي ﷺ أراد من هذا الاستفهام وضع الأمة كلها في دائرة المسئولية عن هذا الدين ، وإشعارها بامتنان الله سبحانه وتعالى عليها بأن جعلها شريكة النبي في ذلك دون سائر الأمم ؛ لأن القرآن الكريم هو كلمة الله الأخيرة إلى البشر ، وحضرة النبي ﷺ خاتم الأنبياء، فلا نبي بعد رسول الله ﷺ ولا رسالة بعد رسالته ،ومن ثم كانت مهمة هذه الأمة أعظم بكثير من غيرها ؛ فالعلماء ورثة

الأنبياء ، وهنا لابد ان يستشعر علماء هذه الأمة قدر المسئولية الملقاة على عاتقهم ، والتي أوحي بها هذا الاستفهام من القائد والمعلم ﷺ) [١] .

وهذه الشهادة كما يقول الأستاذ الندوي : (تثير هذه الكلمة الاعتزاز في حملة رسالة الإسلام وأتباع هذا الدين ، والشعور بالكرامة والمسئولية والتبعة في آن واحد ، فإنها تستلزم معني الوصاية على الأمم ، والإشراف على العالم ، والنهوض بالحسبة الخلقية ، ، والرقابة المعنوية ، وقيادة الركب الإنساني في كل فترة من فترات التاريخ ، وبقعة من بقاع العالم ، وبالإخلال بذلك أو التنازل عنه يحرمون نفوسهم من كونهم أمة وسطا ،وجدارتهم لأن يكونوا شهداء على الناس .وذلك شبه انتحار معنوي جماعي ، وكفران بنعمة الله) [٢].

إن شهادة الأمة مسئولية أمام الله من ناحيتين :

الأولى : مسئولية الأمة تجاه نفسها بتعلم وتعليم أحكام دينها .

الثانية : مسئولية تجاه غيرها من الأمم بتبليغهم الإسلام وترغيبهم فيه .
(كل من آمن بمحمد ﷺ فهو مأمور بتبليغ رسالته على الخصوص والعموم لمقتضى ما نطالب به من التأسي به ، والاقتداء به صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [٣] فجعل من اتبعه داعياً معه إلى الله على بصيرة) [٤]

وقوله "لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ يشمل كل مسلم سمع البلاغ منه ﷺ أو من غيره فكلاهما شهادة بأنه ﷺ بلغ ، فيترتب على هذه الشهادة أمانة البلاغ والدعوة .

والعالم الآن بأحواله المختلفة أحوج ما يكون إلى الإسلام ، حيث بروز ثنائية القوة وتواري عالمية الرحمة ، والأزمات التي هي بحاجة إلى حل ؛ والأمة تملك الحلول .

---

(١) من بلاغة خير داع ﷺ في حجة الوداع : د. مالك حسن الدسوقي ج٢ ص ١٤٨٨ بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ،العدد السادس والعشرون ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م .

(٢) الأمة الإسلامية "وحدتها وسطيتها في آفاق المستقبل ": أبو الحسن الندوي ص ١٢،ط دار الصحوة ، الطبعة الأولي ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م .

(٣) سورة يوسف الآية ١٠٨ .

(٤) مجالس التذكير من حديث البشير النذير : عبد الحميد بن باديس ص ٢٥٧ ، ط دار الشعوب العربية ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

يقول د طه جابر العلواني[1] :(إن عالميتنا ليست عالمية تعصب أو دعوة تنطلق من الخصوصية الجغرافية البشرية لمضاهاة العالمية الغربية ؛ إنها عالمية الرحمة لنا وللغربيين على حد سواء وللعالم أجمع ،ويمكن توضيح ما يلي :

أولا : إنها عالمية إسلامية يهيء لها العليم الخبير على علم منه لتشمل العالم كله ، لأن العالم يفتقر إليها للخروج من أزماته السياسة والاقتصادية والفكرية والبيئة ... فالعالمية الإسلامية أعدها الله على هدي رسالته الشاملة ليخاطب بها البشرية جميعا وينقذها من هذا التردي

ثانيا : إن العالمية الإسلامية هي القادرة على القضاء على القلق الغربي ، والأمة لن تجد خلاصها إلا في حمل هذه العالمية وتبنيها

ثالثا : إنها عالمية إسلامية منتظرة وحتمية الوقوع ، وقد ينهض بها المسلمون وقد ينهض بها غيرهم لو تقاعسوا ، والعمل لها هو التزام بمسئولية الاستخلاف ومسئولية الشهادة على الناس وقيامنا بواجبنا نحو هذا البشر نابع من التزامنا بمسئولياتنا أمام الله سبحانه) [2].

والأمة الإسلامية تواجه عقبتين شديدتين تتمثلان في :

١- قصور الأمة في الدعوة والتبليغ
٢- إقامة الحواجز والسدود في وجه الإسلام من قبل الآخر

والأمة تحتاج إلى جهود مضنية من كل المؤسسات والأفراد لإيصال الدعوة غير منقوصة وغير مشوه للآخرين.

مما سبق يمكن القول : إن الأخلاق مظهر من مظاهر عالمية الإسلام تجلت فيما يلى :

---

(١) طه جابر العلواني، فقيه ومفكر إسلامي عراقي. تخرج في جامعة الأزهر حتى حصل على الدكتوراه في أصول الفقه من كلية الشريعة والقانون بالقاهرة، عام ١٩٧٣ عمل أستاذاً لأصول الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، المملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٧٥ حتى ١٩٨٥. شارك في تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي عام ١٩٨١، ثم مديرًا للبحوث والدراسات فيه، ثم نائبًا للرئيس، ثم رئيسًا لمدة عشر سنوات وفي عام ١٩٨٣ هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية فكان رئيسا للمجلس الفقهي بأمريكا الشمالية ، ورئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية (قرطبة) بهرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية توفي في ٤ مارس ٢٠١٦ م . انظر: موقع العلواني علي الإنترنت : http://alwani.orghk/

(٢) الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي ص ٦٠ وما بعدها بتصرف .

أولا : غاية العبادات لاسيما الحج تطهير المسلم وتزكيته ، وغرس الانضباط وروح الإسلام فيه من خلال المراقبة لله تعالى .

ثانيا : الأخلاق في الإسلام إنسانية عالمية ، فالأسس التي أرسى النبي ﷺ دعائمها ليست خاصة بفئة من الناس أو بأمة دون أخري؛ وإنما هي أصول عامة ، البشرية كلها مدعوة لتحقيقها والعمل على نشرها .

ثالثاً : مجيء الخطاب في حجة الوداع بلفظ "أيها الناس" دون غيره شهادة بعالمية الإسلام تخترق حواجب الزمان والمكان.

رابعاً : في خطبته تجلت معني العالمية حيث ؛ حرمة النفس وما يتعلق بها ، وحرمة المكان ، وحرمة الزمان .

خامساً : العالمية تسطع في خطبته ﷺ من خلال بيان مصدر النشأة ، وأصل الخلق ، ووحدة المصير، وأن الناس جميعاً متساوون في الحقوق والواجبات ، على مستوي الفرد والجماعة والجنس والنوع واللغة واللون.

سادسا : إشهاد الأمة وشهادتهم يحتم عليهم القيام بأمانة البلاغ ودعوة جميع الناس إلى الإسلام.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

فهذه خاتمة البحث ؛ أستطيع أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها:

أولا: الحج فريضة ربانية ، وهداية للعالمين ، وتطبيق عملي لعالمية الإسلام .

ثانياً : عموم الخطاب الإلهي والنبوي في الدعوة إلى الحج ، مظهر من مظاهر عالمية الإسلام ، وبشارة إلى أن الإسلام سيصل كل بقعة من بقاع الأرض .

ثالثاً : حج الأنبياء عليهم السلام برهان وحدة الدين ، وأخوة الأنبياء .

رابعاً : شعائر الحج مظهر من مظاهر عالمية الإسلام ، تتجلي فيه الأخوة الإنسانية ، وتجدد الفطرة ، وترتبط برباط لا ينقطع بإمام الحنفاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

خامساً : عالمية الإسلام ظهرت في فريضة الحج من خلال استيعاب الحج للزمان والمكان .

سادساً : مرونة الأحكام والتيسير في الحج دليل عالمية الإسلام ؛ حيث الشريعة صالحة لكل زمان ومكان .

سابعاً : البراءة من الشرك ، ومخالفة المشركين ، واتباع هدي إبراهيم عليه السلام هو التجديد الذي فعله النبي ﷺ في الحج .

ثامناً : العالمية الإسلامية تظهر في الحج من خلال : محو الفوارق العرقية والطبقية ، ونبذ العنصرية ، والتأكيد على الأخوة الإسلامية .

تاسعاً : الإعلان الأول لحقوق الإنسان في أكبر مشهد في أفضل بقاع الأرض على لسان اعظم نبي وأبين خطيب في خطبة الوداع ، والأمر بحفظ الدماء والأموال والأعراض .

عاشراً : وجوب قيام الأمة بالبلاغ والدعوة في كل زمان ومكان لا يعفيها ضعفها عن ذلك .

حادي عشر : عالمية الإسلام هي الخلاص من الثنائية المتحاربة ، وهي الدواء لكل أزمات العالم الروحية والمادية على مستوي الأفراد والدول .

ثاني عشر : الحج أكبر ملتقي للمسلمين ، فرغم اختلاف أجناسهم وأنواعهم ولغاتهم ، وطبقاتهم، وأحوالهم ، تتوحد غاياتهم وأهدافهم ، وشعائرهم وشعاراتهم ، وثياب إحرامهم .

وختاماً : أسأل الله العظيم رب العالمين أن يتجاوز عن سيئاتي وأن يجعل هذا العمل صالحا وخالصا لوجهه الكريم ، وأن يعم بفضله وعفوه عموم المسلمين .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ثبت بأهم المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم جل من أنزله.

(٢) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليمانى ، تأليف مجموعة من الباحثين بإشراف : على بن محمد العمران ، ط دار الفوائد – الرياض– ١٤٣٤هـ.

(٣) أحكام القرآن: القاضي أبو بكر بن العربي ، ت : علي محمد البجاوي ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت– الطبعة الأولى .

(٤) الإحكام في أصول الأحكام : ابن حزم الظاهري ، ت : الشيخ أحمد محمد شاكر ، ط دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

(٥) إحياء علوم الدين : حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت.

(٦) أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي ، ت : رشدي الصالح ملح ، ط دار الأندلس ، بيروت.

(٧) الاختيار لتعليل المختار: عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي ، ط الحلبي – القاهرة – ١٣٥٦ هـ – ١٩٣٧م .

(٨) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني ، ط المطبعة الأميرية ، الطبعة السابعة١٣٢٣هـ

(٩) الأركان الأربعة: أبو الحسن علي الحسني الندوي ، ط دار القلم ١٤١٥ – ١٩٩٤ م .

(١٠) الإسلام عقيدة وشريعة : د. محمود شلتوت ، ط دار الشروق ، الطبعة الثامنة عشرة ١٤٣١هـ –٢٠٠١م .

(١١) الإسلام والحضارة الغربية : د محمد محمد حسين ، ط دار الفرقان.

(١٢) الإصابة في تمييز الصحابة : الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، ط دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ .

(١٣) الأعلام : خير الدين الزركلي ، ط دار العلم للملايين .

(١٤) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية : عمر بن عليِّ بنِ موسى بنِ خليلٍ البغدادي البزَّار، ت : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ .

(١٥) الإفصاح عن معاني الصحاح: أبو المظفر عون الدين يحيى بن محمد بن هُبَيْرَة الذهلي الشيبانيّ ، ت : فؤاد عبد المنعم أحمد ، ط دار الوطن ١٤١٧هـ.

(١٦) إكمالُ المعلم بفوائد مُسلم: القاضي عياض ، ت : د . يحيى إسماعيل ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – مصر – الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨

(١٧) الأمة الإسلامية "وحدتها وسطيتها في آفاق المستقبل ": أبو الحسن الندوي ، ط دار الصحوة ، الطبعة الأولي ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م .

(١٨) البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، ط دار الفكر،١٤٠٧هـ – ١٩٨٦ م.

(١٩) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن عاشور، ط الدار التونسية للنشر ١٩٨٤هـ .

(٢٠) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت.

(٢١) تراجم المؤلفين التونسيين : محمد محفوظ ، ط دار الغرب الإسلامي – بيروت – الطبعة: الثانية، ١٩٩٤ م .

(٢٢) التفسير الحديث : محمد عزة دروزة ، ط دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – ١٣٨٣هـ.

(٢٣) تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، دار الفكر ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

(٢٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : د محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر– القاهرة .

(٢٥) تَكملَة معجم المؤلفين: محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف ، ط دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

(٢٦) تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

(٢٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي،ت :عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط مؤسسة الرسالة ،الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

(٢٨) ثقافة الحاج : د . مصطفى لعزوزي ، ط دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولي ١٤٣٧هـ –٢٠٠٦.

(٢٩) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، ط دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

(٣٠) الجامع لشعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط مكتبة الرشد – الرياض– الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م.

(٣١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين : أبو البركات خير الدين نعمان بن محمود بن عبد الله، ، الآلوسي ، ط مطبعة المدني ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م .

(٣٢) حجة الله البالغة : ولي الله الدهلوي ، ت السيد سابق ، ط دار الجيل، بيروت ، الطبعة الأولى١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م .

(٣٣) حجة النبي ﷺ وأحكام الحج والعمرة والحج في الإسلام والزيارات الآخرة : أحمد عبد الغفور عطار ، ط مطبعة الإحسان بدمشق ، الطبعة الأولي ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦ م.

(٣٤) حقيقة الحج : وحيد الدين خان ، ترجمة : ظفر الإسلام خان ،ط دار الصحوة ، الطبعة الأولي ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م .

(٣٥) الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر : د . طه جابر العلواني ، ط دار الهادي– بيروت – الطبعة الأولي ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م.

(٣٦) خلق المسلم : محمد الغزالي ، ط دار نهضة مصر ، الطبعة العاشرة ٢٠٠٥ م .

(٣٧) درء تعارض العقل والنقل: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ت : محمد رشاد سالم، ط مكتبة الكنوز الأدبية – الرياض– ١٣٩١هـ .

(٣٨) دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه: إسحاق بن عبدالله السعدي، ط : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر– الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.

(٣٩) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد– الهند ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ– ١٩٧٢م.

(٤٠) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها في القرآن الكريم : د. أحمد غلوش ، ط مؤسسة الرسالة ٢٠٠٥ م.

(٤١) الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر: محمد الغزالي ، دار نهضة مصر .

(٤٢) دلائل النبوة للبيهقي ، ط دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

(٤٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري ، ط دار المعرفة – بيروت– الطبعة الرابعة ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

(٤٤) الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه : الشيخ عطية صقر ، سلسلة إصدارات مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب الخامس ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م.

(٤٥) روح الدين الإسلامي : عفيف عبد الفتاح طبارة ، ط دار العلم للملايين – بيروت –الطبعة الثامنة والعشرون ١٩٩٣ م.

(٤٦) زهرة التفاسير : الإمام محمد أبو زهرة ، ط دار الفكر.

(٤٧) سنن ابن ماجة ، ت : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء الكتب العربية .

(٤٨) سنن أبي داود ، ت : شعيب الأرناؤوط – محمد كامِل قره بللي ، ط دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

(٤٩) السنن الكبرى : أبو بكر البيهقي .ت : محمد عبد القادر عطا ، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

(٥٠) شرح عمدة الفقه : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : د. سعود صالح العطيشان، ط مكتبة العبيكان– الرياض – الطبعة الأولي ١٤١٣ هـ.

(٥١) الشرح الممتع على زاد المستقنع : محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، ط دار ابن الجوزي.

(٥٢) صحيح البخاري "الجامع المسند الصحيح المختصر": الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ط دار الشعب ، القاهرة.

(٥٣) صحيح ابن حبان ، ت : شعيب الأرناؤوط ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

(٥٤) صحيح ابن خزيمة ، ت : د محمد مصطفى الأعظمي ، ط المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

(٥٥) صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني ، ط مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع – الرياض– الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

(٥٦) صحيح مسلم "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" : الإمام مسلم بن الحجاج ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

(٥٧) صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة: أبو مالك كمال بن السيد سالم ، ط المكتبة التوفيقية – القاهرة – ٢٠٠٣ م.

(٥٨) عالمية الخطاب القرآني في المسبحات الخمس: د. مصطفي جابر العلواني ، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

(٥٩) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : بدر الدين العينى ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٦٠) الفتاوى الفقهية الكبرى : شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، ط المكتبة الإسلامية.

(٦١) فتح الباري شرح صحيح البخاري : الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط دار المعرفة – بيروت– ١٣٧٩.

(٦٢) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني : أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي ، ط دار إحياء التراث العربي.

(٦٣) الفريضة الخامسة : د علي شريعتي ، ط دار الأسماء– القاهرة –الطبعة الثانية ١٤١٣–١٩٩٢م.

(٦٤) لسان العرب : أبو الفرج جمال الدين ابن منظور ، ط دار صادر – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ–١٩٩٤م .

(٦٥) اللمع في أصول الفقه : أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، ط دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

(٦٦) مجالس التذكير من حديث البشير النذير : عبد الحميد بن باديس ، ط دار الشعوب العربية ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

(٦٧) المجتمع الإنساني في ظل الإسلام : الإمام محمد أبو زهرة ، ط الدار السعودية للنشر والتوزيع – الرياض – ط الثانية ١٤٠١هـ – ١٩٨١.

(٦٨) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق : حسام الدين القدسي ، ط مكتبة القدسي، القاهرة ،١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م

(٦٩) مجموع الفتاوى : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ت : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط مجمع الملك فهد – المدينة النبوية – ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م.

(٧٠) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، ط دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

(٧١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، ت أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ، ط دار الحرمين – القاهرة – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م

(٧٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ت: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، ط مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

(٧٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، ط المكتبة العلمية ، بيروت .

(٧٤) مصنف ابن أبي شيبة ، ط الدار السلفية ، الهند.

(٧٥) معرفة الصحابة : أبو نعيم الأصبهاني ، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط دار الوطن للنشر – الرياض– الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

(٧٦) المعجم الوسيط ، ط دار الشروق ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

(٧٧) مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

(٧٨) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : ابن قيم الجوزية، ط دار الكتب العلمية– بيروت .

(٧٩) مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني ، ط دار القلم ، دمشق.

(٨٠) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط الثانية ١٣٩٢هـ.

(٨١) المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود : محمود محمد خطاب السبكي ، مطبعة الاستقامة – القاهرة –الطبعة: الأولى١٣٥٣هـ .

(٨٢) من بلاغة خير داع ﷺ في حجة الوداع : د. مالك حسن الدسوقي ، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ،العدد السادس والعشرون ١٤٢٨هـ –٢٠٠٧م .

(٨٣) من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق : عبد الله الزبير عبد الرحمن ، ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية سلسلة كتاب الأمة العدد ٦٥ ، الطبعة الأولي ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ م .

(٨٤) الموافقات في أصول الفقه : إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ، تحقيق: د عبد الله دراز ، ط دار المعرفة ، بيروت .

(٨٥) الموسوعة التاريخية: إعداد مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف ، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

(٨٦) هذا ديننا : محمد الغزالي ، دار نهضة مصر.